المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾[1]، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[2]، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[3].

أما بعد: فإن العلاقة بين الشريعة والعربية علاقة وثيقة لا انفصام لها، وهي علاقة في نواحٍ جمّة، فهناك علاقة نحوية، وعلاقة لغوية، وعلاقة بلاغية، وعلاقة في المصطلحات، وعلاقة في بعض القواعد العامة[4].

وهذه العلاقة أخص بين علمي العربية وتفسير القرآن الكريم؛ لأن الله أنزل كتابه بلسان عربي مبين، فلا سبيل إلى فهم القرآن – الذي أمر الله بتدبره – إلاّ بفهم اللغة التي نزل بها؛ ولهذا تجد قدماء المفسرين والمؤلفين فيه من الراسخين في لسان العرب كابن عباس – وإخوانه من الصحابة – والحسن البصري والفراء وابن قتيبة والمبرد وابن جرير والزجاج والنحاس والأزهري

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(2) سورة النساء، الآية: ١.

(3) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(4) أثر الدلالة النحوية، ص(٣٠).

وابن فارس، وإن شئت فأضف إلى هؤلاء أصحاب العناية بغريب القرآن، وما أكثر هؤلاء.

وقد استمر هذا فيمن جاء بعد هؤلاء إلى زماننا هذا، لكن كل عصر يقل عن سابقه، وكلنا يعرف الراغب والزمخشري وابن عطية وأبا حيان والسمين والجمل والسيوطي، والخفاجي، والشاوي وابن عاشور.

ولكن ليس كلنا يعرف فريقاً، اشتهر بالنحو، وجعل النص القرآني أساس دراسته النحوية، مع غوص في فهم مفردات العربية، فجادت قرائحهم بمعاني وتفسير وإعراب وتوجيه، لا تجدها عند غيرهم.

ومن هؤلاء الأئمة ثعلب وأبو بكر ابن الأنباري والعكبري وابن يعيش وابن هشام.

وقد اخترت من أعلام هذا الفريق الإمام النحوي ابن هشام الأنصاري الحنبلي، وأجريت حوله هذه الدراسة المتواضعة؛ لأسباب منها:

١– أن ابن هشام أحد أساتذة التفسير في زمانه، فقد درس التفسير والفقه الشافعي بالقبة المنصورية[1]، وهي أشبه بالجامعة في زماننا هذا.

٢– أن ابن هشام قد ملأ مؤلفاته بثلاثة علوم، هي التفسير وإعراب القرآن، وتوجيه القراءات المتواترة والشاذة.

٣– الإشادة والتنويه برجل جعل النص القرآني أساس دراسته النحوية، حتّى إنه آلى على نفسه ألاّ يذكر مثالاً من غير القرآن الكريم ما دام يمكن أن يجد ذلك فيه[2].

وقد رأيت أن أجعل خطة هذا البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

(1) انظر المقصد الأرشد (٢/٦٧)، ومقدمة شرح اللمحة البدرية (١/٤٥).

(2) انظر شرح قصيدة كعب بن زهير، ص(١٢٣).

وملحق بالفهارس، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المقدمة: وفيها افتتاحية تشير إلى العلاقة بين الشريعة والعربية عموماً، وبين العربية والتفسير خصوصاً، ثم فيها أسباب تقديم هذا البحث، ثم فيها خطته، والمعالم التي اتبعها الباحث في إخراجه.

الفصل الأول: تعريف موجز بابن هشام وببعض مؤلفاته التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته (وفيه مبحثان).

المبحث الأول: تعريف موجز بابن هشام.

المبحث الثاني: تعريف موجز ببعض مؤلفات ابن هشام التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته.

الفصل الثاني: بعض المباحث التفسيرية التي ضمنها ابن هشام مؤلفاته النحوية (وفيه خمسة عشر مبحثاً).

المبحث الأول: تفسير ابن هشام القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: تفسير ابن هشام القرآن بالسنة.

المبحث الثالث: تفسير ابن هشام القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع: ابن هشام يذكر أسباب النـــزول.

المبحث الخامس: يجعل ابن هشام قول السلف – في تفسير القرآن – حجة على الخلف.

المبحث السادس: ابن هشام ينظر إلى السياق عند تفسير القرآن.

المبحث السابع: ابن هشام يُفَسِّر مُشْكِل القرآن وينقل أقوال العلماء فيه.

المبحث الثامن: ابن هشام يذكر أحكام القرآن.

المبحث التاسع: ابن هشام ينقل عن المفسرين وينتصر لهم ويستدرك ويرجح.

المبحث العاشر: ابن هشام يرد الإعراب الذي يترتب عليه فساد المعنى.

المبحث الحادي عشر: ابن هشام يذكر بلاغة القرآن.

المبحث الثاني عشر: ابن هشام يحتج بالشعر العربي على ما يذكره من معانٍ وتفسير.

المبحث الثالث عشر: ابن هشام يعتني بتفسير غريب القرآن.

المبحث الرابع عشر: ابن هشام يرد على بعض المخالفين لأهل السنة في العقيدة.

المبحث الخامس عشر: ابن هشام يذكر بعض علوم القرآن.

الفصل الثالث: مع ابن هشام في تفسير القرآن وإعرابه و توجيه قراءاته من خلال كتابه «شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب» (ويُورَد هذا الفصل حسب ترتيب سور القرآن وآياته).

الخاتمة: يذكر فيها الباحث أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل فهرس المصادر والمراجع ومحتوى البحث.

وأما المعالم الرئيسة التي اتبعها الباحث في إخراج البحث فهي تتلخص فيما يلي:

١– ذكرت ترجمة موجزة لابن هشام، ولبعض مؤلفاته، أبرزت فيها أشياء تهم أهل التفسير وعلوم القرآن.

٢– تحدثت بشيء من التفصيل عن آثار ابن هشام في علوم القرآن، التي أشار إليها بعض الباحثين المعاصرين بإيجاز.

٣– قرأت طائفة كبيرة من مؤلفات ابن هشام، واستخرجت ما تيسر منها من مادة علمية، ثم قسمت تلك المادة العلمية على أهم المباحث التفسيرية، مع ذكر مقدمة علمية لذلك المبحث، ذيلتها بذكر طريقة ابن هشام فيه، على

ضوء الأمثلة المعروضة من مؤلفاته.

٤- جردت الفصل الثالث من أحد مؤلفات ابن هشام النحوية، ليؤكد به بعض ما ذُكر في سابقه، وليطلع القارئ على بعض ما قاله ابن هشام في علمي إعراب القرآن وتوجيه قراءاته والدفاع عنها.

٥- كل ما جاء عن ابن هشام في هذا البحث، لم أتدخل في شيء منه، إلاّ ما لا يمكن احتماله بوجه؛ لأن هذا البحث ليس المقام فيه مقام مقارنة ودراسة ومناقشة.

٦- وثقت الأقوال والأشعار، وخرجت الأحاديث والآثار، وأشرت إلى مواضع الآيات والقراءات – مع تمييز الشاذ من المتواتر – وصنعت للبحث مقدمة وخاتمة وفهارس.

٧- ليس مقصود هذا البحث الحصر والإحاطة، ولكن مقصوده فتح الباب أمام الباحثين للإفادة من مؤلفات ابن هشام في التفسير والإعراب وتوجيه القراءات، مع دعوتهم لتسهيل ذلك بجمعه وجعله على ترتيب سور القرآن وآياته، مع التوثيق والمقارنة والدراسة. ومن يقوم بذلك فيلزمه جمْع العلوم الثلاثة.

هذا وقد سميت هذا البحث «عناية ابن هشام النحوي بتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته».

والله تعالى أسأل أن يبارك في هذا البحث، وأن ينفع به، وأن يجعله تَذْكاراً لابن هشام الإمام، كما أسأله أن يرفع ما نزل بأمّة القرآن من الضعف والهوان، فهو القوي المَنّان.

الفصل الأول:

تعريف موجز بابن هشام وببعض مؤلفاته التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته

لكل شيء – معنوي أو حسي – مفتاح، وأحسب أن هذا الفصل مفتاح لهذا البحث، وقد حرصت أن يكون هذا الفصل مختصراً؛ لأسباب:

منها: أن ابن هشام شمس شارقة في بلاد العالم الإسلامي، ومؤلفاته كذلك، فهو من العلماء القلائل الذين سارت بمؤلفاتهم – في حياتهم – الركبان، واشتهرت بعد مماتهم بين الأنام.

ومنها: أن يكون مطابقاً لما قلت سابقاً من أنه مفتاح.

هذا وقد رأيت من المناسب أن يجعل هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: تعريف موجز بابن هشام

١– هو جمال الدين: عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام، الأنصاري المصري. ولد في ذي القعدة سنة ثمان سبعمائة بالقاهرة.

لزم الشيخ شهاب الدين ابن المُرَحِّل (ت: ٧٤٤هـ) وتلا على ابن السراج (ت: ٧٤٦هـ) وسمع من أبي حيان (ت: ٧٤٥هـ) و حضر دروس تاج الدين التبريزي (ت:٧٤٦هـ) وقرأ على الشيخ تاج الدين الفاكهاني (ت: ٧٣١هـ) وروى الشاطبية عن القاضي ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ).

كان ابن هشام شافعياً، ثم صار حنفياً، ثم استقر حنبلياً في آخر حياته، ولهذا التنقل أسباب، تطالع في كتب التراجم والأنساب.

درَّس النحو والفقه والتفسير، وتخرج على يديه جماعة، منهم ابن الملاح الطرابلسي (ت: ٧٦٥هـ) وعلي ابن أبي بكر البالسي (ت: ٧٦٧هـ) والنويري (ت: ٧٨٦هـ) وابن الفرات (ت: ٧٩٤هـ) وابنه محب الدين ابن هشام (ت: ٧٩٩هـ) وابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ).

ولابن هشام معرفة تامة باللغة والقراءات والحديث، والمعاني والبيان والعروض.

غلبت عليه صناعة النحو حتى بلغ فيها مرتبة الإمامة، واشتهر ذكره في بلاد الإسلام بها، حتى قالوا: إنّه أنحى من سيبويـــه، وألَّف فيها التصانيف العظيمة النافعة، التي اشتهرت في حياته وبعد مماته، وأصبحت – اليوم – مرجعاً للأساتذة والطلاب في معظم جامعات الإسلام، طُبع منها الكثير، ومازال بعضها مخطوطاً حتى الآن.

ولابن هشام طريقة بديعة في سرد أبواب النحو وضم النظير إلى نظيره، وتسهيل علم النحو وتمهيده. وكان – مع هذا كله – موصوفاً بكثرة الديانة والعبادة، مع التواضع والبر والشفقة، ودماثة الأخلاق ورقة القلب.

مات – رحمه الله تعالى – في القاهرة في شهر ذي القعدة، سنة إحدى وستين وسبعمائة.

ورثاه جماعة من العلماء الأدباء بقصائد تدل على بالغ تأثر أهل عصره بفقده، رحمه الله[1].

---

(1) انظر ترجمته في الجوهر المنضد، ص(٧٧، ٧٨)، والدرر الكامنة (٤١٥/٢- ٤١٧)، ومقدمة ابن خلدون، ص(٥١٦)، والمقصد الأرشد (٦٦/٢، ٦٧)، وحسن المحاضرة (٥٣٦/١)، وأعيان العصر، ص(٥، ٦)، وشذرات الذهب (١٩١/٦، ١٩٢)، والنجوم الزاهرة (٣٣٦/١٠)، والوفيات لابن قنفذ، ص(٣٦١)، والوفايات لابن رافع السَّلاَّمي (٢٣٤/٢)، والسحب الوابلة (٦٦٢/٢- ٦٦٦)، وبغية الوعاة (٦٨/٢، ٦٩)، والبدر =

٢– ابن هشام مشارك في علوم غير النحو:

العلامة ابن هشام اشتهر بعلم النحو، حتى طغى على مشاركته في علوم أُخرى؛ ولهذا فكثير من أوساط المتعلمين، لا يعرفونه إلاّ بعلم النحو، لكنه – في الحقيقة – مشارك في علوم أُخرى مثل التفسير، والقراءات، والفقه، والحديث وغيرها.

قال ابن تغري بردي: ((وكان بارعاً في عدة علوم))[١].

وقـــال ابن مفلح: ((حفظ الخرقي[٢] في دون أربعة أشهر، ودرَّس في التفسير بالقبة المنصورية وغيرها))[٣].

وقال ابن عبد الهادي: ((صاحب المعرفة التامّة في النحو واللغة والإعراب والقراءات والحديث والفقه، وغير ذلك))[٤].

وقال ابن حجر: ((وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية)).

فهذه شهادة من هؤلاء العلماء تفيد حضور العلامة ابن هشام ومشاركته في علوم أُخرى، صدرت منهم بعد تتبع وخبرة.

وقد عدَّ له الأستاذ الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان ثمانية مؤلفات في علوم القرآن[٥].

= الطالع (٢٧٦/١، ٢٧٧)، ومفتاح السعادة (١٨٣/١– ١٨٥)، والأعلام (١٤٧/٤)، ومقدمة شرح اللمحة البدرية (٣١/١– ٩١)، ودائرة المعارف الإسلامية (٢٩٦/١، ٢٩٧)، ومعجم المؤلفين (١٦٣/٦، ١٦٤).

(1) النجوم الزاهرة (٣٣٦/١٠).

(2) يعني أنه حفظ مختصر الإمام الخرقي في فقه الحنابلة.

(3) المقصد الأرشد (٦٧/٢).

(4) الجوهر المنضد، ص(٧٧).

(5) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤١، ١٤٢)، وسيأتي الكلام عليها – إن شاء الله =

نعم واستفاد منه صاحبا أشهر كتابين في علوم القرآن، تلميذه الإمام بدر الدين الزركشي، والعلاَّمة السيوطي[1].

وقد قرأت في كثير من كتبه – التي اشتهر بها – فوجدته مفسِّراً، فقيهاً، محدثاً، مقرئاً. وكل واحد من هذه الفنون، يستطيع المتتبع لمؤلفات ابن هشام النحوية أن يكتب فيه بحثاً وافياً، يُضيف جديداً إليه، بما ذكره الإمام ابن هشام فيه.

❁ ❁ ❁

= – آخر هذا الفصل.

(1) انظر المبحث العاشر من الفصل الثاني.

المبحث الثاني:

تعريف موجز ببعض مؤلفات ابن هشام التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته

١– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: هذا الكتاب يُعد أكبر كتب ابن هشام فائدة وحجماً، وهو من أواخر كتبه تأليفاً، فبين وفاة ابن هشام وتأليفه أربع حجج فحسب.

والكتاب في شرح المفردات والجمل.

ولا غنى لمن يفسر القرآن عن هذا الكتاب، ومما يدل على أهميته في هذا الأمر أن ابن هشام لَمَّا سُئل لِمَ لم يؤلف تفسيراً للقرآن أو لإعرابه؟. قال: أغناني المغني عن ذلك[1].

وأشهر طبعات هذا الكتاب، هي الطبعة التي حققها الشيخ محمد محي الدين– رحمه الله[2] – وجاءت الصفحات فيما نحن بصدده على النحو التالي:

المجلد الأول، ص: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٧، ٩٢، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦،

(1) انظر مقدمة الدكتور محمد نغش لأسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص(و).

(2) وليس فيها حتى ذكر مواضع الآيات من المصحف، ولكن حسْبه أنه أخرج النص إخراجاً جيداً.

٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٧، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٣.

المـــجلد الثاني، ص: ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥١٣، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٤، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦١٩، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٣٠، ٦٥٥، ٦٥٧، ٦٦٢، ٦٨٣، ٦٩٠، ٦٩٦.

٢– شرح قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – في مدح سيدنا رسول الله ﷺ: كان الرسول ﷺ قد أهدر دم كعب بن زهير بن أبي سلمى؛ لما نال الدعوة والمسلمين من لسانه، فلما أظهر الله الإسلام، وفُتحت مكة، قدم كعب دار الهجرة، ومثل بين يدي رسول الله ﷺ مسلماً تائباً، فعفا عنه الرسول الكريم ﷺ، فجاشت مشاعره بقصيدة في مدح خير خلق الله ﷺ، كانت من أنبل القصائد في المدح.

شرحها ابن هشام شرحاً زادها جمالا، وحققها الدكتور أبو ناجي، وهي تقع في (٣٥٧) صفحة.

وقد ضمَّن ابن هشام هذا الشرح نصوصاً تفسيرية، وإعرابية وتوجيهية، يمكنك أن تراها كلها، أو بعضاً منها على الصفحات التالية: ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٧٢، ٧٣، ٩٤، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٧،

١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٧.

٣- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: أنشأ ابن الناظم شواهد على (الخلاصة الألفية) لأبيه، وهذه الشواهد يستغلق فهمها على من يقرؤها، فألف ابن هشام هذا الكتاب، شرحاً لها وبياناً.

قال في مقدمته: «فأنشأت لهم هذا المختصر المسمَّى بتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد محتوياً على تفسير لفظها وتحرير ضبطها، وبيان محل الشاهد منها، وإيراد بعض ما تقدمها من الأبيات وما تأخر عنها[1]...» إلخ.

مات ابن هشام قبل أن يتم هذا الكتاب كما يقول محققه الدكتور عباس الصالحي، الذي بذل جهداً طيباً في تحقيق الكتاب، ونشرته دار الكتاب العربي في (٦١٨) صفحة، وضمنه ابن هشام نصوصاً تفسيرية وإعرابية وتوجيهية، يمكنك أن تراها كلها أو بعضاً منها على الصفحات التالية: ٥٧، ٦٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١٤٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥١١، ٥١٤.

٤- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: كان ابن هشام قد ألَّف

(1) تخليص الشواهد، ص(٤٠).

كتاباً سمَّاه شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ثم شرحه بهذا الكتاب، وبين في مقدمته للكتاب أنه أراد بهذا الشرح تتميم الشواهد، وجمع الشوارد، والتمكين من اقتناص الأوابد، وقال في آخر تلك المقدمة: «وكلما أنهيت مسألة ختمتها بآية تتعلق بها من آي التنـــزيل، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل»[1].

قلت: وكأنه يرى أن توجيه القراءات مشترك بين الإعراب والتفسير، فلم يذكره، مع أنه قد حشا الكتاب بذلك.

ولأنني لم أذكر في الفصل الثالث – الذي خصصته لهذا الكتاب – من الإعراب والقراءات إلاّ ما جاء فيه تفسير، فسأذكر لك هاهنا صفحات الإعراب وتوجيه القراءات المجردة من التفسير؛ إتماماً للفائدة، وتجنباً للتكرار.

هذا وطبعة الكتاب المشهورة هي التي بتحقيق محمد محي الدين، وتقع في (٤٨٠) صفحة، جاء الإعراب وتوجيه القراءات – منها – في الصفحات التالية: ١٨، ٢٤، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٠٦، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٦، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٩، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٤٨، ٤٥٢.

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: شرح ابن هشام بهذا الكتاب خلاصة ابن مالك في رجز النحو، والتي تُعرف (بألفية ابن مالك) وهو شرح أبسط[2] من شرح ابن عقيل إلاّ أنَّه لا يبعد عنه كثيراً، وقد اشتهر الشرحان كشهرة الخلاصة، أو هما أوسع.

وقد طُبع الكتاب بتحقيق العلاَّمة محمد محي الدين، والذي وضع عليه

(1) شرح شذور الذهب، ص(١٠).

(2) أبسط: أعني مدلولها اللغوي، لا العامي.

حاشية سمَّاها (عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك) جَعَلَتْه في أربع مجلدات، أو أجزاء، يمكنك أن ترى النصوص التفسيرية والإعرابية والتوجيهية – كلها أو بعضاً منها – على الصفحات التالية:

المجلد الأول، ص:١٥١، ١٥٧، ١٧٩، ١٩٩، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧.

المجلد الثاني، ص: ٤٤، ٤٦، ٨١، ١٤٥، ١٦٢، ١٦٤، ٢٠٢، ٢٢٢، ٣٠٦، ٣١٤.

المجلد الثالث، ص: ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٧٨، ١٢٥، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٩٥، ٢١٥، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٨.

المجلد الرابع، ص: ٧٨، ٧٩، ٨٨، ١٦١، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٧، ٢٣٢، ٣٠٦، ٣٥١.

٦– شرح قطر الندى وبل الصدى: كتب ابن هشام مقدمة في النحو مختصرة جداً، سماها بـــ(قطر الندى وبل الصدى) ثم جاء هذا الكتاب ليشرحها شرحاً موجزاً، موفياً بالغرض، وهو كتاب يُذَكّر المنتهي، ولا يستغني عنه المبتدي.

وازدان بحاشية وضعها عليه ناشر علم العربية ومحبيها إلى أهلها، الشيخ محمد محي الدين – رحمه الله – باسم (سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى)، ويقع الكتاب في (٣٥٢) صفحة، يمكنك أن ترى النصوص التفسيرية والإعرابية والتوجيهية – كلها أو بعضاً منها – على الصفحات التالية: ٣١، ٤١، ٥٨، ٦٢، ٦٦، ٦٨، ٨١، ٨٢، ٨٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٧، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٨٢،

٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٢٠.

وفي ختام هذا الفصل أُنبه على ما يلي:

١- هناك مؤلفات أُخرى لابن هشام لا تخلو من نصوص في تفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته منها شرح جمل الزجاجي، واللمحة البدرية في علم اللغة العربية، والإعراب عن قواعد الإعراب، والجامع الصغير في النحو، وفوح الشذا بمسألة كذا، ورسالة في توجيه النصب في إعراب فضلاً ولغة وخلافاً وأيضاً وهلم جرا، والألغاز في النحو، واعتراض الشرط على الشرط، وكلها مطبوعة محققة[١].

٢- ذكر الأستاذ الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان – في كتابه القيِّم (آثار الحنابلة في علوم القرآن)[٢] – ثمانية مؤلفات لابن هشام في علوم القرآن، نوجز الحديث عنها بما يلي:

أ – إعراب مواضع من القرآن: قال الدكتور: إنها مسائل سُئل عنها ابن هشام في بعض أسفاره، أو ظهرت له في أثنائه وقد طُبعتْ باسم (المسائل السفرية في النحو) بتحقيق الدكتور علي البواب[٣].

وقد وقفت على الكتاب، وأفدت منه، وهو محقق بثلاثة عناوين، أحدها بالاسم الذي ذكره الدكتور، ولم يُذكر فيه تاريخ الطبعة ولا رقمها.

والثاني باسم (أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن) بتحقيق الدكتور محمد نغش، ونشر المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى،

(1) قد يرد في بعضها هذه العلوم الثلاثة، وقد يرد أحدها، لكنها بكل حال لاتساوي – في ذكر هذه العلوم – الكتب الستة المتقدمة، بل لا تقرب منها.

(2) انظر منه، ص(١٤١، ١٤٢).

(3) انظر المرجع السابق، ص(١٤١).

سنة ١٤٠٣هـ.

والثالث باسم (مسائل في إعراب القرآن) حققه الدكتور صالح أبو جناح، ونشرته مجلة المورد العراقية، في المجلد الثالث، العدد الثالث، سنة ١٩٧٤م.

ولعلك تعجب من هذا الجهد الذي يضيع في كتاب واحد؛ ولذلك أسباب يطول شرحها، لعل من أهمها عدم التنسيق بين معاهد وجامعات العالم الإسلامي، بل معاهد وجامعات العرب، بل معاهد وجامعات بلد الحرمين.

والكتاب هو رسالة صغيرة في إعراب مواضع من بعض الآيات، وأحياناً يأتي بتفسيرها، وعدد مسائلها في تحقيق البواب ونغش سبع وأربعون مسألة[١]، بعضها لا يتجاوز أربعة أسطر، وتختلف صفحات الكتاب باختلاف المحققين، إلاّ أنه في حقيقته لا يتجاوز عشرين صحيفة.

ب – مسائل في إعراب القرآن: هكذا ذكره الدكتور، وعده كتاباً آخر غير الذي قبله[٢]، وهو – في الحقيقة – أحد أسماء الكتاب السابق؛ وذلك واضح بالمقارنة.

ج – رسالة في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[٣]: مطبوعة، حققها الدكتور عبد الفتاح الحموز[٤].

وهذه الرسالة طُبعت لأول مرة عام ١٤٠٥هـ، طبعتها دار عمّار، بعنوان: مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[٥].

(١) وفي تحقيق أبي جناح ست وأربعون مسألة، وقد وصف أبو جناح مسائل هذا الكتاب وصفاً دقيقاً. انظر مجلة المورد (١٤٧/٣).

(٢) انظر آثار الحنابلة، ص(١٤٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٤) آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤١).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

بدأها المؤلف بإيراد سؤال حاصله: ما الحكمة في تذكير ﴿قريب﴾ مع أنه صفة مخبر بها عن المؤنث، وهو الرحمة، مع أن الخبر الذي هذا شأنه يجب فيه التأنيث[١]؟

ثم وضّح ابن هشام أن سبب تأليفه – في هذه المسألة – ما وقف عليه من بعض العبارات الخاطئة، التي قالها بعض المفسرين، ثم ذكر أنه وجد فيها للعلماء أربعة عشر وجهاً، فسردها، وبين المقبول منها من المردود. وهذا الكتاب لا يتجاوز بضع صفحات – في الحقيقة – إلاّ أن حواشي محققه مع المقدمة والفهارس، بلغت به إحدى وتسعين صفحة.

د– رسالة في قولـــه تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[٢]: ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر[٣].

قلت ذكرها السيوطي بقوله: «هذه مسألة من كلام شيخنا العالم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[٤]، قال يجوز في الظرفين أربعة أوجه»[٥] ثم ساقها فبلغت صفحاتها المطبوعة ثلاثا وزيادة. وهي كما ترى في إعراب بعض ألفاظ الآية الكريمة.

هـ – رسالة في قوله تعالى ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾[٦]: أشار

(١) انظر من هذه الرسالة، ص(٣٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٥) الأشباه والنظائر (٤/ ٧٤).

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٢.

صاحب آثار الحنابلة إلى أنه مخطوط في المكتبة التيمورية في دار الكتب المصرية برقم (١٠٢/مجاميع) [١].

وقد تطلبته مطبوعا فلم أقف عليه ويبدو أنه في إعراب الآية أو بعض ألفاظها، فهو مثل رسائله الأخرى، التي وصلتنا في بعض صفحات.

و– رسالة في استعمال المنادى في تسع آيات: قال الدكتور إنها توجد مخطوطة في مكتبة برلين في ألمانيا تحت رقم (٦٨٨٤)[٢]، وهكذا قال غيره أيضا[٣].

ويبدو من عنوانها أنها رسالة صغيرة[٤]، تذكر طريقة استعمال القرآن للنداء في بعض الآيات.

ز– مختصر الانتصاف من الكشاف: ذكر الدكتور أنه يوجد مخطوطاً، وله ثلاث نسخ، إحداها في مكتبة الأزهر، والثانية في دار الكتب، والثالثة في برلين[٥]، وذكره غيره أيضا[٦].

ويبدو أن الذين نسبوا الكتاب لابن هشام هم تبع لحاجي خليفة فإنه ذكر الكشاف، وما ألف حوله، قال في آخر بحثه: «ولخصهما[٧] الإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام في مختصر لطيف مع يسير زيادة، وتوفي سنة ٧٦٢هـ، قال: اختصرت فيه الانتصاف من الكشاف، وحذفت منه ما وقعت

(١) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٢) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٣) انظر مقدمة محمد محي الدين لشرح شذور الذهب، ص(٧).

(٤) وبهذا وصفها الدكتور هادي نهر في مقدمته لشرح اللمحة البدرية (١/ ٨٢)، وكذلك وصفتها دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٢٩٧)، وأبو جناح في مجلة المورد (٣/ ١٤٦).

(٥) انظر آثار الحنابلة في علوم القرآن، ص(١٤٢).

(٦) انظر مقدمة محمد محي الدين لشرح شذور الذهب، ص(٧)، ومجلة المورد (٣/ ١٤٦).

(٧) ألف الاثنين ترجع إلى كتاب الكشاف والانتصاف.

الإطالة به، من نقل كلام الزمخشري على وجهه من غير كلام عليه، إعجابا به واستحسانا له، وما قابل به الزمخشـــري في سبه أهل السنة بمثلها، مقتصراً على العقيدة الصحيحة، وما يتعلق بالآية منها من دليل، وحمل على تأويل، فلم أدع شيئاً من معاني الكتاب المذكور، فما وافق منه الصواب أبقيته بحاله، وما خالف ذلك بينت وجه ضعفه وإخلاله، والله الموفق...)) [١].

وقد قال الدكتور أحمد الهرميل: إن نسبة الكتاب إلى ابن هشام مشكوك فيها[٢].

وبعد الإطلاع على الكتاب المذكور، ظهر لي أنه ليس من تأليف ابن هشام؛ للأسباب التالية:

١– المتقدمون، الذين ترجموا لابن هشام – ومنهم ابن حجر وغيره – لم يذكروا أن ابن هشام ألَّف كتاباً في التفسير، وكان أوَّل من ذكر ذلك – فيما أعلم– الحاج خليفة، في كتابه كشف الظنون (١٤٧٧/٢).

٢– أن ابن هشام سُئل عن عدم تأليف كتاب في تفسير القرآن، أو إعرابه فقال: أغناني المغني عن ذلك (انظر الفصل الأول – عند الكلام على مغني اللبيب).

٣– جاء في اللوحة الثانية – بعد بسم الله الرحمن الرحيم – بخط غير واضح، ويُقرأ منه (قال العبد الفقير... ابن عمر الأنصاري) ثم جاء نص المقدمة بعد ذلك، وهذا بخط ناسخ الأصل.

وهذا يفيد أن مؤلف الكتاب هو عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري ابن بنت العراقي، المعروف بعلم الدين العراقي، لاسيما وأن الحاج خليفة قد

(١) كشف الظنون (١٤٧٧/٢).

(٢) انظر مقدمته لتحقيق الجامع الصغير (ص/ ن).

ذكر (في كشف الظنون ١٤٧٧/٢) أنَّه ألَّف كتاب الإنصاف، جعله حكماً بين الزمخشري وابن المنير، وذكر العلاَّمة الزركلي (في الأعلام ٥٣/٤) أنَّه رآه، واقتنى نسخة منه، قال: إنها جديرة بالنشر.

ويجعل هذا الدليل مجزوماً به أمران:

أ – ما جاء في أوَّل اللوحة العاشرة (١٠/أ) في سورة البقرة من تعقبه لأحمد في مسألة – ناقش فيها الزمخشري – ثم قال علم الدين العراقي في آخر رده: ((وتأويله على ما ذكر شيخنا عز الدين بن عبد السلام...)) ومن المعلوم أن عز الدين هو أحد شيوخ علم الدين العراقي (طبقات المفسرين ٣٤٠/١)، وأما ابن هشام فولادته بعد نصف قرن من وفاة عز الدين.

ب – ذكر الحافظ ابن حجر (انظر الدرر الكامنة ١٣/٣، ١٤) أن علم الدين العراقي ألف كتاباً، رد فيه على أحمد، وانتصر للزمخشري، وأسلوب هذا المخطوط الذي بين يدي، مطابق تماماً لما ذكر الحافظ، فإن هذا الكاتب يورد كلام محمود ثم كلام أحمد، ثم يتعقب أحمد، ويندر أن يناقش الزمخشري، ولكن قد يناقشه أحياناً.

٤– المقدمة التي ذكرها في هذا المخطوط مطابقة تماماً لما بداخله، فقد ذكر أنه اختصر الانتصاف؛ لأن صاحبه قد يطيل بنقل كلام الزمخشري (انظر مقدمة المخطوط، وكشف الظنون ١٤٧٧/٢ والفصل الأول من هذا البحث) فمن قال: إن صاحب هذا الكتاب اختصر الكشاف فقد عكس.

وأيضاً فقد ذكر هذا الكاتب أن ما وافق الصواب تركه، وما لم يكن كذلك بيّن وجه ضعفه وإخلاله (انظر مقدمة المخطوط، وما نقله الحاج خليفة في كشف الظنون (١٤٧٧/٢) وهذا مطابق لما بداخل المخطوط من التعقبات في أكثر المواضع.

فإن قلت: فما حجة من نسبه لابن هشام، وما جوابك عنها؟.

قلت: لا أعرف له حجة، إلاّ ما جاء على اللوحة الأولى (مختصر الكشاف لابن هشام الأنصاري) ولا يظهر منها واضحاً إلاّ (هشام، الأنصاري).

والجواب: إن هذا بغير خط ناسخ الأصل، فهو بخط مشرقي، وخط ناسخ الأصل خط مغربي، ثم لا يبعد أن يقصد به أحد التملكات، التي كُتبت على هذه اللوحة، وأن هناك كلمة سقطت بين (مختصر الكشاف) وبين (ابن هشام) تفيد هذا.

فإن قلت: ألا يمكن أن يكون ابن هشام اختصر الانتصاف لأحمد، والإنصاف لعلم الدين، كما قد يُفهم من كلام الحاج خليفة في كشف الظنون (١٤٧٧/٢).

قلت: بعد التأمّل في كلام الحاج خليفة ظهر لي أن عود ضمير التثنية في قوله (ولخصهما) إنما هو للكشاف والانتصاف.

وبكل حال فلا أرى حجة في كلام خليفة عن هذا الكتاب.

وفي النية أن أكتب تقريراً ضافياً عن نسبة الكتابين لابن هشام (مختصر الكشاف – وموارد المنح) وما حصل حولهما من ملابسات، وأنقل من نصوصهما ما يتبين به الصواب إن شاء الله، وذلك بعد أن أحصل على مزيد من النسخ للكتابين، فاللهم يسر.

ح – شوارد الملح وموارد المنح: هكذا ذكر اسمه الدكتور، وذكر أن له صورة مخطوطة في جامعـــة أم القرى برقم (٢٧٨) تفسير وعلوم قرآن، وأن عدد لوحاته (٤٤) وأن أصله في شستربتي تحت رقم (٤٣٦٢)[1].

(١) انظر آثار الحنابلة، ص(١٤٢).

ويبدو أن الأستاذ لم يقف على مصورة جامعة أم القرى، ولكن أخذ عنوان الكتاب والمعلومات عنه من فهرس المصورات الميكروفيلمية[1]، الذي أصدرته جامعة أم القرى يوم أن كانت فرعاً لجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وقد وقفت على مصورة جامعة أم القرى فوجدت مؤلفها أو جامعها يفتتح الكتاب بوصية الرسول ﷺ لمعاذ – رضي الله عنه – لما أرسله إلى اليمن، ثم يمضي الكاتب بإيراد معارف متنوعة، يتعلق معظمها بالجواب عن سؤالات وإشكالات تبدو بين بعض الآيات، ورأيت مؤلفها ينحو في كلامه منحى الصوفية، وربما نقل أشياء عنهم يصدرها بقوله: قال أصحاب الخواطر والمعارف.

ورأيته يعوّل فيما يفسر من الآيات على التفسير الإشاري.

وورد عنوان الكتاب – في هذا المخطوط المصوّر – في آخره، حيث قال الكاتب: تم كتاب شوارد الملح وموارد المنح من كلام ابن الفويرة[2] والعبَّادي وابن الجوزي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك في الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وستمائة للهجرة[3].

ثم قال: ووافق الفراغ من نسخه نهار الثلاثاء، وقت صلاة الظهر تاسع شهر شوال سنة إحدى وأربعين وسبعمائة[4].

---

(١) انظر منه، ص(٩٩).

(٢) (ابن الفويره) لست متأكداً من قراءتها، لكنها لاتدور حول اسم ابن هشام بحال.

(٣) انظر اللوحة (٤٣/ أ، ب).

(٤) انظر اللوحة (٤٣/ب)، وقد اطلعت بعد زمن من إعداد هذا البحث على كتاب ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي (ص/ ٣٤٠-٣٤٩) فوجدت مؤلفه نفى صحة نسبة الكتابين – مختصر الانتصاف وشوارد الملح – لابن هشام، فشكرت الله على أن وفقني إلى ما قلت.

والكتاب ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ولم ينسبه[١].

لكن نسبه إسماعيل باشا إلى ابن هشام في هدية العارفين[٢].

وذكره الدكتور الحموز بعنوان (شرح الملح وموارد المنح) وقال: إنه في برلين برقم (٢٠٩٧) وإن عدد لوحاته (٢٥٠) [٣]، وكذلك اتفق معه الدكتور هادي نمر في هذه المعلومات، ووصفه بقوله: ((هو رسالة في سعادة النفس تناول فيه بعض المسائل الاعتقادية كالحديث عن الآخرة، وقضية الإسراء والمعراج، وفروض الصوم والصلاة والزكاة، وغيرها من المسائل الدينية))[٤].

وأما أبو جناح فذكره بالعنوان الأسبق وقال: إنه في العقائد والفرائض والمسائل الدينية، وإن أوراقه تزيد على ثلاثمائة ورقة، و إنه ما يزال مخطوطاً، وبحوزته نسخة منه[٥].

والحاصل أن الكتاب مختلف في عنوانه، وفي عدد لوحاته، ثم ما جاء في آخر مصورة جامعة أم القرى – من نسبة الكتاب إلى غير ابن هشام، ومن ذكر تاريخ قبل ولادة ابن هشام بما يقرب من قرن كامل – يجزم بأن تلك المصورة ليست من تأليف ابن هشام[٦].

ثم شيء آخر ينفي نسبة تلك المصورة لابن هشام وهو الأسلوب الذي كُتبت به، فإنني أجزم أنه ليس أسلوب ابن هشام. وأيضاً فقد ورد في تلك

(١) انظر كشف الظنون (١٠٦٥/٢).

(٢) انظر هدية العارفين (٤٦٥/١).

(٣) انظر مسألة الحكمة في تذكير قريب، واعتراض الشرط على الشرط (المقدمة / ص١٦).

(٤) مقدمة شرح اللمحة البدرية (٨٥/١، ٨٦).

(٥) انظر مجلة المورد (١٤٦/٣).

(٦) لوحة العنوان لم يرد عليها شيء حول العنوان المذكور، ولا عن المؤلف(٦).

المصورة من كلام الصوفية، ما لا يمكن نسبته لابن هشام، وما علمت أن أحداً ممن ترجم له قال: إنه من الصوفية، أو ينحو منحاهم.

٣- أرقام الصفحات التي ذيلت بها الحديث عن بعض مؤلفات ابن هشام، غالبها في تفسير القرآن، وبعضها اشترك في التفسير والإعراب والتوجيه، ماعدا الصفحات التي ذيلت بها الحديث عن شرح شذور الذهب، فإنها خُصَّت في الإعراب والتوجيه، وأما المشترك بين الثلاثة – في الكتاب المذكور – فتجده في الفصل الثالث، من هذا البحث.

الفصل الثاني:

بعض المباحث التفسيرية

الّتي ضمنها ابن هشام مؤلفاته النحوية

(وفيه خمسة عشر مبحثاً)

ضمن ابن هشام الأنصاري مؤلفاته النحوية[1] تفسيراً لعدد غير قليل من الآيات، تضمن كثيراً من المباحث التي يعتني بها أهل التفسير، ويذكرونها في مؤلفاتهم. وسأذكر في هذا الفصل – إن شاء الله تعالى – بعض المباحث المهمة في هذا الجانب، التي رأيت ابن هشام يعرضها في مؤلفاته النحوية التي أمكن الوقوف عليها.

المبحث الأول: تفسير ابن هشام القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن أعلى أنواع التفسير، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، فما أُجمل في سورة بُيِّن في أُخرى، وما أُطلق في آية قُيِّد في أُخرى، وما اختُصر في سورة بُسط في أُخرى، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2].

ولأهمية هذا النوع من التفسير: لم يخل منه تفسير مفسر – فيما رأيت – وهم بين مقل ومكثر.

أمَّا من نثر شيئاً من التفسير في مؤلفاته، فغالباً أن يأتي بشيء من هذا،

(1) تغليباً وإلاَّ ففيها غير النحوية مثل شرح قصيدة كعب بن زهير.

(2) سورة القيامة، الآيات: ١٧– ١٩، وانظر في تفسير الآية موضع الشاهد جامع البيان (٧٠/٢٤).

لكن ذلك قليل بالنسبة إلى من قصد تفسير القرآن بمؤلف.

وابن هشام أتى بتفسير القرآن بالقرآن فيما ذكر في مؤلفاته من تفسير، وأكثر ما جاء عنده ما يُسمَّى تفسيراً، أو بياناً، أو بدلاً، على اصطلاح النحويين. وهذا يكون متصلاً فيه المفسِّر – بكسر السين المشدّدة – بالمفسَّر (بفتح السين المشدّدة).

وهذا النوع من البيان هو من تفسير القرآن بالقرآن، وهو كثير في القرآن، وأتى بطائفة منه المفسرون في تفاسيرهم، وكذلك المعربون للقرآن، ويكثر منه الزمخشري في كشافه.

ويسميه الإمام ابن فارس ما اتصل به بيانه، ذكره في كتابه الصاحبي[1]، وضرب له أمثلة، وأشار إلى قياس ما لم يذكره على ما ذكره.

وبالجملة فإن ابن هشام أجاد في هذا، وقد ذكر في كتابه مغني اللبيب ضوابط الجملة التفسيرية، وأكثر من ذكر الأمثلة عليها من القرآن[2]، ومما قال في هذا المبحث:

* قال تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[3] أي أنهم شركاء. وهذا أولى من أن يكون التقدير: تزعمونهم شركاء؛ ولأنه قد جاء في مكان آخر ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[4].

* ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾[5] أي هذا بلاغ، وقد صرح به في ﴿هَذَا

(1) انظر الصاحبي، ص (٤٠٠).

(2) انظر مغني اللبيب (٢/٤٠٠) وما بعدها.

(3) سورة القصص، الآيتان: ٦٢، ٧٤.

(4) سورة الأنعام، الآية: ٩٤، وتفسير ابن هشام في شرح قصيدة كعب، ص (١٤٨).

(5) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾[1].

* ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[2] فإن ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ تفسير لقولـــه تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي أن المأتيَّ الذي أمركم الله به هو مكان الحرث، ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان طلب النسل، لا محض الشهوة[3].

* الجملة الثالثة التفسيرية، وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه، وسأذكر لها أمثلة توضحها:

أحدها: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[4] فجملة الاستفهام مفسرة للنجوى..

الثاني: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[5] فخلقه وما بعده تفسير لمثل آدم، لا باعتبار ما يعطيه ظاهر لفظ الجملة من كونه قُدِّر جسداً من طين ثم كوِّن، بل باعتبار المعنى، أي إن شأن عيسى كشأن آدم في الخروج عن مستمر العادة وهو التولد بين أبوين.

والثالث: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[6] فجملة تؤمنون تفسير للتجارة[7].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢، وتفسير ابن هشام في مغني اللبيب (٢/٦٣٠).

(2) سورة البقرة، الآيتان: ٢٢٢، ٢٢٣.

(3) مغني اللبيب (٢/٣٩٣).

(4) سورة الأنبياء، الآية: ٣.

(5) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(6) سورة الصف، الآيتان: ١٠، ١١.

(7) مغني اللبيب (٢/٣٩٩).

المبحث الثاني: تفسير ابن هشام القرآن بالسنة

من شروط المفسر أن يطلب التفسير من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن موضحة لـــه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[2]. قال بعض العلماء: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن[3].

وأوَّل ما دون من التفسير هو هذا النوع، فكان المحدثون يجعلون للتفسير باباً في مصنفاتهم، يذكرون فيه ما فسره رسول الله ﷺ بالسند، ثم خُلط هذا النوع بتفسير الصحابة والتابعين وأتباعهم، وصُنّفت فيه المؤلفات، وصار يُعرف بالتفسير بالمأثور، وممن اعتنى بهذا اللون ابن أبي حاتم الرازي، وابن جرير، وابن مردويه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق الصنعاني، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وسعيد بن منصور، وأبو بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم البستي، وعبد الرحمن بن دحيم، وأحمد بن حنبل، وبقي بن مخلد، وأبو سعيد الأشج، وابن ماجه، ووكيع بن الجراح[4].

وجاء من بعدهم من المفسرين فاستفادوا من مؤلفات هؤلاء العلماء، إلاَّ

---

(1) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤١٠/٢٨) برقم (١٧١٧٤) وقال محققه: إسناده صحيح. وأخرجه بنحوه أبو داود في السنن (٢٠٠/٤) برقم (٤٦٠٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٨٣/٢٠) برقم (٦٦٩).

(3) انظر الإتقان (٤٩٧/٢).

(4) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص (٨٥)، والإتقان (٥٣٨/٢).

أن أغلبهم حذفوا الأسانيد طلباً للاختصار، فوقع الخلط بين الصحيح والضعيف والموضوع، ومن هؤلاء من التزم بذكر الأسانيد من الكتب التي اطلع عليها، مثل ابن كثير الذي عاش في القرن الثامن.

ثم قامت الجامعات في العالم الإسلامي المعاصر ففكر بعض أساتذتها وطلابها بتتبع ما صح من تفسير رسول الله ﷺ وجمعه وترتيبه على الآيات والسور، ونقد إسناده ومتنه، وكذلك ما صح عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، والبحث عن المخطوطات في هذا النوع وإخراجها للناس، فأعاد هؤلاء الباحثون للتفسير بالأثر شيئاً من مكانته، ولعل هذه الجهود المباركة تستمر إن شاء الله، فتعود مكانة التفسير بالأثر إلى ما كانت عليه من قبل[1].

وأما ابن هشام فصناعة النحو غلبت عليه، إلاَّ أن له ميلاً وعناية بالحديث، ظهرت في استشهاده بالحديث على مسائل في النحو، في جميع مؤلفاته.

وتفسير الآيات بما جاء عن رسول الله ﷺ جاء في مؤلفاته أيضاً، إلا أنه قليل بالنسبة لاستشهاده على مسائل النحو بالحديث، فمن ذلك قوله:

* قولـــه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2] رُوي أنها لما نزلـــت ســـأل رسول الله ﷺ جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل، فمضى ثم رجع، فقال: يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك[3].

(1) وقد خرج طائفة من تلك الجهود، منها بعض الكتب التي ألفها أو حققها، أو أشرف عليها، أو شارك فيها، شيخنا الأستاذ الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين وفقه الله تعالى.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(3) شرح قصيدة كعب بن زهير، ص (٢٧٣، ٢٧٤) والحديث أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٠/١٣) بسند فيه انقطاع. وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٥٣/٣). وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨/٥) عن الشعبي. وهو مرسل كما قال السيوطي في الإتقان (٥٥٠/٢)، وذكر ابن حجر في الفتح (٣٠٦/٨) أن ابن مردويه وصله من =

* مسألة: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[1] هل ما يقوله بعض الناس من أنَّ المراد بالنعيم الماء البارد، منقول من كتب التفسير ؟.

الجواب: النعيم أعم من ذلك، والماء البارد من جملته، وفي الحديث «أوّل ما يُسأل العبد يوم القيامة، عن النعيم، أن يقال له: ألم أصح جسمك، وأروك من الماء البارد» رواه الترمذي في سننه[2].

المبحث الثالث:

تفسير ابن هشام القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

الصحابة – رضي الله عنهم – هم تلاميذ محمد ﷺ، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وعلى هذا فتفسيرهم للقرآن، إمَّا أن يكون بناءً على ما سمعوه وفهموه من رسول الله ﷺ، أو يكون على مقتضى لسان العرب، الذي هم أعلم الناس به، فالأخذ بما ثبت عنهم في تفسير القرآن متحتم لمن أراد سلوك المنهج الصحيح في تفسيره. نعم متحتم؛ لما شاهدوه من نزول القرآن؛ ولما اختصوا به من الأحوال؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح[3].

وأما التابعون، فإن غالب علمهم أخذوه عن الصحابة؛ ولذلك رجع

= حديث جابر وغيره، وحكم على سند الطبري في الكافي الشاف (٦٦/٤) بأنه منقطع.

(1) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(2) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص (٢٩، ٣٠) والحديث أخرجه الترمذي في سننه (٤٤٨/٥) ح (٣٣٥٨)، والحاكم في المستدرك (١٥٣/٤، ١٥٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. وقال الألباني – في صحيح سنن الترمذي (١٣٤/٣) –: صحيح.

(3) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص (٩٣).

كثير من الأئمة إلى أقوالهم[١]، وهذا بعد ثبوت النقل عنهم أيضاً.

والعلامة ابن هشام، لا يخفى عليه أهمية الأخذ بتفسير الصحابة والتابعين؛ ولهذا نجده يذكر أقوالهم فيما نثره من تفسير في مؤلفاته، إلاَّ أنها على طريقة أكثر المتأخرين من المفسرين من تجريدها من الإسناد، وعدم التمييز بين الثابت وغيره.

وقد لاحظت عليه أنه يدافع عن أقوال الصحابة، ويجعلها حجة على غيرهم، وهذا مسلك سوي.

وأما أقوال التابعين فربما نقد بعضها، وأبدى استغرابه لما هو غريب منه، لكن ذلك بأدب جم، ومما قال في هذا المبحث:

* وويل كلمة تقال لمن يستحق الهلكة، كقوله تعالى: ﴿وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[٢] وعن علي رضي الله تعالى عنه الويح باب رحمة، والويل باب عذاب[٣].

* قولـــه تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[٤] أي تجري لينة سريعة حيث أراد. قاله ابن عباس، رضي الله عنه[٥].

---

(1) انظر المرجع السابق، ص (٩٧).

(2) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

(3) شرح قصيدة كعب، ص (٤٠) وهذا الأثر لم أقف على إسناده، وأورده السيوطي في الدر (٨٢/١) ونسب إخراجه لأبي نعيم في دلائل النبوة، والكتاب مطبوع لكن لسوء فهارسه لم أهتد إلى موضعه، ويشهد لصحته ما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «ويل واد في جهنم» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. ومما ثبت أن الرسول قال: «ويح عمار» رواه جماعة منهم البخاري. وأيضاً لغة العرب شاهدة بصحة ما ذكر. انظر مستدرك الحاكم (٦٣٩/٤)، وصحيح البخاري (٥٤١/١) برقم (٤٤٧)، ومفردات الراغب، ص (٥٣٥) (ويل).

(4) سورة ص، الآية: ٣٦.

(5) شرح قصيدة كعب، ص (١١٠) والأثر أخرج آخره ابن جرير في جامع البيان (٢٠٣/٢١) =

* ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]... قال ابن عباس وغيره: لو قالوا نعم لكفروا[2]. ووجهه أن (نعم) تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب؛ ولذلك قال جماعة من الفقهاء، لو قال: أليس لي عليك ألف؟ فقال: بلى. لزمته، ولو قال: نعم لم تلزمه. وقال آخرون: تلزمه فيهما، وجروا في ذلك على مقتضى العرف، لا اللغة[3].

* قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[4] أي لا تبرز للشمس. ورأى ابن عمر – رضي الله عنه – رجلاً محرماً قد استظل، فقال له: إضح لمن أحرمت له[5].

*... ولا تختص الرؤيا بمصدر الحلمية، بل تقع مصدراً للبصرية – خلافاً للحريري وابن مالك – بدليل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[6] قال ابن عباس: هي رؤيا عين[7].

= من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو سند حسن انظر التفسير الصحيح (٢٢٥/٤) وأخرج ابن جرير أيضاً بعضه عن قتادة بسند حسن. جامع البيان (٢٠٢/٢١).

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(2) وهذا الأثر لم أقف عليه مسنداً، وذكره السمين في عمدة الحفاظ (٢٦٥/١)، وفي الدر المصون (٥١٢/٥) وقال فيه: هكذا ينقلونه عن ابن عباس – رضي الله عنه – وفيه نظر إن صح عنه؛ وذلك أن هذا النفي صار مقرَّراً، فكيف يكفرون بتصديق التقرير ؟.

(3) مغني اللبيب (١١٣/١)، وانظر في هذه المسألة الفقهية المجموع شرح المهذب (٣٠٨/٢٠، ٣٠٩).

(4) سورة طه، الآية: ١١٩.

(5) شرح قصيدة كعب، ص (٢٤٤) والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف (٢٨٥/٣) برقم (١٤٢٥٣) بسند صحيح.

(6) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(7) أوضح المسالك (٤٦/٢) والأثر أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٩٨/٨) ح (٤٧١٦) عن ابن عباس.

المسألة الثالثة: ذهب علي – رضي الله عنه – ومن وافقــه إلى أن المراد بـــ﴿ الْعَادِيَاتِ ﴾[١] الإبل التي يحج عليها، وأن المراد (بجمع) المزدلفة لاجتماع الناس بها[٢]، وذلك أن من عدا أهل مكة كانوا بعرفات، لأنها موقف الأنبياء عليهم السلام، وكان المكيون يقفون بمزدلفة، ويقولون: نحن خدام الحرم، فلا نتجاوزه إلى الحِلّ، فإذا أفاض الواقفون بعرفة، اجتمعوا معهم في مزدلفة، فأمر الله تعالى المكيين بالوقوف بعرفة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[٣] أي: من عرفات.

وزعم الأكثرون[٤] أن المراد بالعاديات: خيل الغزاة، واستدلوا بثلاثة أمور:

أحدها: أن الخيل هي التي تقدح النار بحوافرها إذا صادفت الحجارة، بخلاف أخفاف الإبل. والثاني: أن الضبح صوت يخرج من أجواف الخيل لا الإبل. والثالث: أن النقع غبار الحرب.

وأُجيب بأن الإبل إذا أجهدت نفسها في السير سُمع لها صوت يشبه الضبح، وثار لها غبار يشبه النقع، ودفعت الحجارة بعضها في بعض، فأورت النار، وبأن الحجاج لما كانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نُغير، واحتجوا بأن السورة مدنية نزلت بعد وقعة بدر، ولم يكن معه في تلك الواقعة إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد[٥].

---

(1) من قوله تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ سورة العاديات، الآية: ١.

(2) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٥٩/٢٤) عن علي بسند فيه أبو صخر الخراط. قال فيه ابن حجر: صدوق يهم من السادسة. انظر تقريب التهذيب الترجمة رقم (١٥٤٦) وانظر تهذيب التهذيب (٤١/٣).

(3) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

(4) قول الأكثرين أخرجه الحاكم عن ابن عباس – في المستدرك (٥٨١/٢) – بسند قال عنه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(5) شرح قصيدة كعب، ص (٢٣٥، ٢٣٦).

*** قولـــه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1]... عن جعفر الصـــادق – رضي الله عنه – أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، قيل: وليس في التَّنـــزيل آية أجمع لمكارم الأخلاق منها[2].**

*** قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾[3]... الضمير في ﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ قال قتادة: راجع إلى الحور العين المذكورات قبل[4]. وفيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة[5].**

*** قولـــه تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[6]... قالوا[7]: الساهرة وجه الأرض... ومن الغريب قول قتادة: الساهرة جهنم؛ لأنها لا نوم فيها[8].**

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(2) شرح قصيدة كعب، ص (٢٧٤) وهذا الأثر لم أقف على إسناده، وأورده أبو حيان في البحر المحيط (٤٤٥/٤)، ويبدو أن ابن هشام أخذه من هنالك، أو من الكشاف، فإنه فيه (١١١/٢)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٣٠٦/٨): وروي عن جعفر الصادق، قال: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

(3) سورة الواقعة، الآية: ٣٥.

(4) قول قتادة أخرجه – بمعناه – عبد الرزاق في تفسير القرآن (٢٧١/٢) بسند صحيح. وأخرجه الطبري في جامع البيان (١١٩/٢٣) وبه بدأ تفسير الآية.

(5) شرح شذور الذهب، ص (٣٢، ٣٣) وانظر تفصيل الأقوال في الفصل الثالث، سورة الواقعة.

(6) سورة النازعات، الآية: ١٤.

(7) ضمير الفاعل يعود على المفسرين. وأقوالهم في جامع البيان (١٩٧/٢٤ – ١٩٩).

(8) تخليص الشواهد، ص (٤١١) وقول قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان (١٩٩/٢٤) بسند فيه تدليس سعيد بن أبي عروبة، وفيه محمد بن مروان العقيلي، قال الحافظ: صدوق له أوهام. انظر التقريب رقم (٢٣٦٥) ورقم (٦٢٨٢) والمعروف عن قتادة مثل قول الجمهور، أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسير القرآن (٣٤٦/٢) بسند صحيح، كما قال شيخنا في التفسير الصحيح (٥٨٧/٤).

المبحث الرابع: ابن هشام يذكر أسباب النُّزول

أسباب النُّزول طريق قوي لفهم معاني القرآن الكريم، وبعض الآيات لا يمكن معرفة تفسيرها إلاَّ بالوقوف على قصتها، وبيان نزولها، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1] فلو أُخذ بظاهر اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، وهو خلاف الإجماع، فلما عُرف سبب نزولها، وأنها في نافلة السفر، أو فيمن صلى بالاجتهاد، وبان له الخطأ[2].

ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[3] الآية، فإن ظاهرها لا يقتضي فرض السعي بين الصفا والمروة، وقد ردَّت أم المؤمنين عائشة على من فهم ذلك[4].

واحتج بعضهم على حل الخمر بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾[5] ولو علم سبب نزولها، وأنها في رفع الجناح على من مات وهو يشربها قبل أن تحرم[6]، ما قال: إنها حلال.

وبكل حال فمعرفة الأسباب لـــها أهمية كبرى، لا تنحصر فيما ذُكر، وليس هذا موضع بسطها؛ ولهذا أفردها العلماء بالتأليف من فجر الإسلام، حتى

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(2) انظر أسباب النُّزول، ص (٣٧، ٣٨)، والعجاب في بيان الأسباب (٣٦٢/١)، والصحيح المسند من أسباب النُّزول، ص (٤).

(3) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(4) انظر صحيح البخاري (١٧٥/٨) حديث رقم (٤٤٩٥)، وصحيح مسلم (٩٣٠/٢) تحت رقم (١٢٧٧).

(5) سورة المائدة، الآية: ٩٣، وانظر الدر المنثور (٣٢١/٢، ٣٢٢).

(6) انظر صحيح البخاري (٢٧٨/٨) حديث رقم (٤٦٢٠).

زمن السيوطي، وبعده أيضاً، وأشهرها تداولاً بين الباحثين كتابان:

أحدهما: أسباب النُّزول للإمام الواحدي.

والثاني: لباب النقول في أسباب النُّزول للسيوطي.

وأحسن بعض المعاصرين بأن جمع ما صح في ذلك[1]، على أنه يمكن أن يزاد عليه عند استقصاء أسباب النُّزول الصحيحة.

وقد ذكر العلاَّمة ابن هشام بعض أسباب النُّزول – الصحيحة – وجعلها حجة له في الرد على بعض العلماء، في بعض مسائل النحو[2].

وذكر طائفة أُخرى، بعضها ليس نصاً في سبب نزول الآية، وبعضها لا يثبت، وهذا فيما وقفت عليه، ولا أدعي على ابن هشام أن هذا منهاجه في جميع ما ذكر، ومما قال ابن هشام في هذا المبحث:

* وأمية هذا[3] كان قد قرأ الكتب، فعلم منها أنه أظلَّه زمانُ نبي فترجَّى أن يكون هو، فضمَّن أشعاره المواعظ والحكم، وذكر الحشر، فلمَّا بعث الله محمداً ﷺ حسده، فكذبه، فيُقال إن فيه نزل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا... ﴾[4].

---

(1) أعني الشيخ مقبل بن هادي الوادعي – رحمه الله – في كتابه (الصحيح المسند من أسباب النُّزول).

(2) انظر أول مثال في المبحث الخامس، من هذا الفصل.

(3) يعني أمية بن أبي الصلت الشاعر.

(4) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥. وتفسير ابن هشام في تخليص الشواهد، ص (٤١٢)، وهذا السبب أخرجه النسائي في التفسير (٥٠٨/١) بإسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو. وكذلك أخرجه الطبري في التفسير (٢٥٥/١٣، ٢٥٦)، وأخرج عبد الرزاق في التفسير (٢٤٣/٢) عن قتادة أنه قال: اختلفوا فيه يقول بعضهم: بلعم، ويقول بعضهم: أمية بن أبي الصلت. قلت: السببان أخرجهما الطبري والنسائي والواحدي موقوفان، وذكرهما =

*** قولـــه تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ﴾[١]... يُقال: إنها كانت سرية لرسول الله ﷺ إلى بني كنانة، فأبطأ عليه خبرها، فجاء به الوحي إليه[٢].**

*** قولـــه تعالى: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٣]... قيل (أو) بمعنى الواو، ويؤيده قول المفسرين: إنها نزلت في رجل أنصاري طلَّق امرأته قبل المسيس وقبل الفرض[٤].**

❁ ❁ ❁

= الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥/٧) وقال رجالهما رجال الصحيح.
وذكر ابن كثير القولين – في تفسيره (٢٦٥/٢، ٢٦٦) – ثم عقب على القول الذي ذكره ابن هشام بقوله: وقد رُوي من غير وجه عنه، وهو صحيح إليه وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير، ولكنه لم ينتفع بعلمه. وأقول: لعل من قال نزلت في بلعم، أو قال نزلت في أمية أراد أن ما وقع منهما يصلح تفسيراً ومثالاً لما ذكر الله في هذه الآية. والله أعلم.

(1) سورة العاديات، الآيتان: ٣، ٤.

(2) شرح شذور الذهب، ص (١٤٨) وانظر الكلام على هذا السبب في الفصل الثالث عند سورة العاديات.

(3) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

(4) مغني اللبيب (٦٦/١) وهذا السبب أورده البغوي في معالم التَّنزيل (٢١٧/١) بدون سند ولا نسبة، وابن حجر في العجاب (٥٩٦/١) ونسبه إلى مجاهد، وذكر فيه قصة رفعها، ولم أقف على سنده إلى مجاهد، فإن ثبت إلى مجاهد فهو مرسل. وذكر ابن حجر – أيضاً – الحديث المرفوع في الكافي الشاف، ص (٢١) وقال: لم أجده.

المبحث الخامس:

يجعل ابن هشام قول السلف حجة على الخلف

كم هو جميل أن نجد نحوياً – من مدرسة الإمام ابن جني[1] التي أخذت بمجموع المنحول من آراء نحاة الكوفة ونحاة البصرة – يرجع إلى أقوال السلف من صحابة وتابعين، فيجعلها حجة على الخلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك»[2]. وقال أيضاً: «إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير»[3].

نعم العلامة ابن هشام لـــه مواقف تذكر فيشكر، في هذا وما شابهه، فإنه لم يؤخذ عليه أنه طعن في قراءة متواترة، بل تجده – كما في الفصل الثالث – يقف جبلاً أمام من يطعن في القراءات، وله عبارة جميلة – مع أنه قد سُبق إليها – يرددها كثيراً في مؤلفاته (القراءة سنة متبعة)[4].

ويحتج كثيراً بالأحاديث على مسائل النحو، وما ذلك إلاَّ ثقة منه بنقلتها، وأنهم أدوها كما سُمعت من رسول الله ﷺ. في حين يقف طائفة كبيرة من أئمة النحو موقف الشاك من وصول الأحاديث إلينا باللفظ الذي قاله من أوتي

(1) انظر مقدمة ابن خلدون، ص (٥١٦).

(2) مقدمة في أصول التفسير، ص (٩٣).

(3) المرجع نفسه، ص (٩٧).

(4) انظر – على سبيل المثال – شرح قطر الندى، ص (٢٤٥)، وشرح شذور الذهب، ص (٢٦٥).

جوامع الكلم ﷺ [١]، فعدلوا عن ذلك إلى كلام من يبول على رجليه من الأعراب، ونقلوا عن طائفة أُخرى منهم بأسانيد أوهى من بيت العنكبوت.

لا أقول هذا طعناً في أئمة حملت مفتاح شريعة الإسلام، ولهم الحسنات العظام، التي تغطي على تلك الهنات وما يُقال، ولكن ذكرت هذا لأُبين أن أبا محمد بن هشام قد فارقهم في الأمرين، فلم يرد القراءات المتواترة[٢]، واحتج بما ثبت من الحديث على قواعد النحو، وله في ذلك سلف من النحويين، وعلى رأسهم بدر الدين بن مالك، الذي يقول – في الاحتجاج لجواز الفصل بين المتضائفين:

وعمدتي قراءة ابن عامر وكم لها من عاضد وناصر[٣]

وإليك أمثلة على تمسك ابن هشام بأقوال السلف، وجعلها حجة على الخلف، فهو يقول:

* قول بعضهم في ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٤] إنَّ الوقف على ﴿فَلاَ جُنَاحَ﴾ وإنَّ ما بعده إغراء ليفيد صريحاً مطلوبيَّة التَطوف بالصفا والمروة، ويرده أن إغراء الغائب ضعيف... والذي فسَّرت به عائشة – رضي الله عنها – خلاف ذلك، وقصتها مع عروة بن الزبير – رضي الله تعالى عنهم – في ذلك مسطورة في صحيح البخاري[٥].

---

(1) انظر السير الحثيث إلى الاحتجاج بالحديث (٩١/١، ٩٢)، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، ص (٦، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩١، ١٩٢، ٣٦٧، ٣٦٨).

(2) انظر دراسات لأسلوب القرآن (٣٤/١- ٤٣) (٤٩/١- ٨٥) لترى رد بعض النحاة واللغويين لبعض القراءات المتواترة، وقد شاركهم غيرهم، ولكن هم المتولون كبره.

(3) انظر شرح الكافية الشافية (٩٧٩/٢).

(4) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(5) مغني اللبيب (٥٥٠/٢) والحديث الذي أشار إليه ابن هشام تقدم تخريجه في المبحث الرابع من هذا الفصل.

* ولا تختص الرؤيا بمصدر الحلمية، بل تقع مصدراً للبصرية، خلافاً للحريري وابن مالك بدليل ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[1] قال ابن عباس: هي رؤيا عين[2].

* قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[3] أي مستقبلات لعدتهن. كذا فسَّره جماعة من السلف[4]. وعليه عوَّل الزمخشري[5] ورده أبو حيان توهماً منه أن الخاص لا يحذف، وقال: الصواب أن اللام للتوقيت، وأن الأصل لاستقبال عدتهن، فحذف المضاف[6]، أهـ. وقد بيَّنا فساد تلك الشبهة[7].

❁ ❁ ❁

(1) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(2) أوضح المسالك (٤٦/٢) وتقدم تخريج أثر ابن عباس في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(3) سورة الطلاق، الآية: ١.

(4) هذا الذي يفهم من قراءتهم الآية قراءة تفسيرية، فقد جاء عن بعضهم أنه قرأها (فطلقوهن لقبل عدتهن) ومنهم من قرأ (فطلقوهن في قبل عدتهن). انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق (٢٩٦/٢)، وجامع البيان (٤٣٣/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم (٣٧٩/٤)، والدر المنثور (٣٣٠/٦).

(5) انظر الكشاف (١٠٧/٤).

(6) انظر البحر المحيط (٢٧٧/٨).

(7) مغني اللبيب (٤٤٩/٢).

المبحث السادس: ابن هشام ينظر إلى السياق عند تفسير القرآن

النظر إلى السياق مهم للمفسِّر، وما من مفسِّر إلاَّ وهو مضطر إليه، وهم بين مقل ومكثر، وأكثر من رأيت يحتج به الإمام ابن جرير الطبري، في جامع البيان، وتبعه – على الإكثار – ابن عطية وابن كثير، إلاَّ أنهما دون ابن جرير في الترجيح بالسياق عند ورود الاختلاف. ولا ننسى الإمام الراغب فإنه ممن استعمله في كتابه (المفردات) فتصيد المعاني من السياق[1].

وقد ذكر العلاَّمة الزركشي السياق، وجعله أحد الأمور التي ترشد إلى المعنى المقصود، عند ورود الإشكال، فقال: «الرابع: دَلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[2] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»[3].

أقول: إن العلاَّمة ابن هشام أدرك أهمية هذا الجانب، فأكثر من استعماله فيما فسَّره – من خلال مؤلفاته – فتراه يصرح أن سباق اللفظ، أو الآية، أو لحاقهما يدل على المعنى المراد، وأحياناً يُجمل، فيقول: والسياق يقتضيه، وهو غالباً يلجأ إليه عند الإشكال، كما في قصة أصحاب الكهف[4] وغيرها، ومما قال في ذلك:

* قولـــه تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[5] أي كمن هداه الله،

(1) انظر البرهان (١/٢٩١).
(2) سورة الدخان، الآية: ٤٩.
(3) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٠، ٢٠١).
(4) انظر مغني اللبيب (٢/٦٥٥).
(5) سورة فاطر، الآية: ٨، وتفسير ابن هشام في مغني اللبيب (١/١٤).

بدليل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1].

* وقد خرَّج عليه[2] أبو البقاء ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3] فقال: من زائدة، وشيء في موضع المصدر، أي تفريطاً... وعلى هذا فلا حجة في الآية لمن ظنَّ أن الكتاب يحتوي على ذكر كل شيء صريحاً[4].

قلت: وكذا لا حجة فيها لو كان شيء مفعولاً به؛ لأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[5] وهو رأي الزمخشري[6]، والسياق يقتضيه[7].

* قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾[8] أي دروعاً سابغات، فحذف الموصوف، مع أن الصفة لا تختص به، ولكن تقدم ذكر الحديد أشعر به[9].

* قولـــه تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[10] أي لولا أنتم صددتمونا عن الهدى؛ بدليل أن بعده ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾[11].

---

(1) سورة فاطر، الآية: ٨.

(2) على المفعول المطلق. انظر مغني اللبيب (٣٢٢/١).

(3) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(4) التبيان في إعراب القرآن (٤٩٣/١).

(5) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(6) انظر الكشاف (١٢/٢).

(7) مغني اللبيب (٣٢٣/١).

(8) سورة سبأ، الآية: ١٠، ١١.

(9) شرح قصيدة كعب، ص (٧٢).

(10) سورة سبأ، الآية: ٣١.

(11) سورة سبأ، الآية: ٣٢، وتفسير ابن هشام في شرح قطر الندى، ص (١٢٥، ١٢٦).

المبحث السابع:

ابن هشام يُفَسِّر مُشْكِلَ القرآن وينقل أقوال العلماء فيه

هناك بعض آيات من الذكر الحكيم، أشكلت، وقد انتدب لتفسير ما يظهر فيها من إشكال الراسخون في العلم، وعلى رأسهم ابن عباس – رضي الله عنه – ومن جاء بعده من العلماء.

وذكر ابن النديم من المؤلفات فيها: (ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله) للفضل بن سلمة، و(معاني القرآن وتفسيره ومشكله) لعلي بن عيسى الوزير[1]. وذكر السيوطي أن لقطرب تصنيفاً في مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض[2].

ومما وصل إلينا (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، وهو كتاب قيم، لولا أن مؤلفـــه أزرى ببعض القراء السبعة، ورد قراءتهم المتواترة [3] ؟!. و(فوائد مشكل القرآن) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، و(تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء...) لشيخ الإسلام، و(وضح البرهان في مشكلات القرآن) وقد نظرت فيه كثيراً فما رأيت اسمه يطابق مسمّاه.

و(مشكلات القرآن) للكشميري[4]، وهو أحد المعاصرين.

والعلاَّمة ابن هشام ألـــمَّ بشيء مما يدخل تحت هذا الباب، فأجاب هو

(1) انظر الفهرست، ص (٣٤).

(2) انظر الإتقان (٢/٧٥).

(3) انظر تأويل مشكل القرآن، ص (٥٩) وما بعدها، وعجبتُ من أن يوافقه على هذا الباطل أحمد صقر.

(4) انظر مقدمة سيد رضوان لتحقيقه فوائد في مشكل القرآن، ص (١٥).

بنفسه عن بعض الإشكالات، ونقل إجابة بعض العلماء في طائفة أُخرى، وهو في تفسير ما أشكل إعرابه من القرآن، وحل إشكال القراءات أبرع منه في حل إشكالات التفسير[1]، ومن أمثلة ما ذكر في هذا المبحث قوله:

* يُحمل ثبوت الاعتذار[2]، مع مجيء ﴿لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾[3] على اختلاف المواقف، كما جاء ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾[4] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾[6] أي وليخش الذين إن شارفوا وقاربوا أن يتركوا، وإنما أوَّلنا الترك بمشارفة الترك لأن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك؛ لأنهم بعده أموات، ومثله ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[7] أي حتى يشارفوا رؤيته ويقاربوها؛ لأن بعده ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[8] وإذا رأوه ثم جاءهم لم يكن مجيئه لهم

(1) انظر الفصل الثالث.

(2) جاء في آيات أن الكفار يعتذرون يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.

(3) سورة التحريم، الآية: ٧.

(4) سورة الرحمن، الآية: ٣٩.

(5) سورة الصافات، الآية: ٢٤، وتوفيق ابن هشام في مغني اللبيب (٤٨١/٢) ومقصوده بقوله: (كما جاء.. إلخ) أن الآيتين الأخيرتين تُحملان على اختلاف المواقف يوم القيامة أيضاً.

(6) سورة النساء، الآية: ٩.

(7) سورة الشعراء، الآية: ٢٠١.

(8) سورة الشعراء، الآية: ٢٠٢.

بغتة وهم لا يشعرون، ويحتمل أن تحمل الرؤية على حقيقتها، وذلك على أن يكونوا يرونه فلا يظنونه عذاباً مثل ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾[1] أو يعتقدونه عذاباً، ولا يظنونه واقعاً بهم، وعليهما فيكون أخذه لهم بغتة بعد رؤيته[2].

واختلف في ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[3] فقال الفراء: بل يزيدون، هكذا جاء في التفسير مع صحته في العربية[4].

وقال بعض الكوفيين: بمعنى الواو[5].

وللبصريين فيها أقوال: قيل: للإبهام. وقيل: للتخيير، أي إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول: هم مئة ألف أو يقول: هم أكثر، نقله ابن الشجري عن سيبويه[6]، وفي ثبوته عنه نظر؛ ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع أحدهما. وقيل: هي للشك مصروفاً إلى الرائي، ذكره ابن جني[7].

وهذه الأقوال – غير الأقوال بأنها بمعنى الواو – مقولة في ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[8] ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[9].

---

(1) سورة الطور، الآية: ٤٤.

(2) مغني اللبيب (٢٦١/١، ٢٦٢).

(3) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(4) انظر معاني القرآن (٣٩٣/٢).

(5) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف (٤٧٨/٢).

(6) انظر الأمالي (٧٧/٣، ٧٨).

(7) انظر الخصائص (٤٦١/٢).

(8) سورة النحل، الآية: ٧٧.

(9) سورة البقرة، الآية: ٧٤، وتفسير ابن هشام في مغني اللبيب (٦٤/١، ٦٥).

المبحث الثامن: ابن هشام يذكر أحكام القرآن

أحكام القرآن ثلث علوم القرآن؛ لأن أصل علوم القرآن ثلاثة: التوحيد، والتذكير، والأحكام[1]، بل قد قال بعض العلماء: معظم آي القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة، وأخلاق جميلة، ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط، إما بلا ضم إلى آية أُخرى... وإما به[2].

وقال السيوطي: آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام[3].

قلت: فعلى هذا آيات الأحكام أكثر مما اشتهر أنها خمسمائة آية.

ولأهمية هذا العلم، أوسعه علماء التفسير بحثاً، فمنهم من اعتنى بذكره في تفسيره[4]. وأفرده آخرون بالتأليف، منهم علي بن حجر السعدي (ت: ٢٤٤)، وإسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت: ٢٨٢)، وعلي بن موسى بن يزداد (ت: ٣٠٥)، والطحاوي (ت: ٣٢١– وكتابه مطبوع)، وأبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠)، والكيا الهراسي (ت: ٥٠٤)، والقاضي ابن العربي (ت: ٥٤٣)، وابن الفرس المالكي (ت: ٥٩٩)، وقبل هؤلاء جميعاً الإمام الشافعي، فيما جمعه عنه البيهقي، وكل هؤلاء تعرف مؤلفاتهم باسم (أحكام القرآن)، ثم القرطبي (ت: ٦٧١) في كتابه الجامع لأحكام القرآن، ثم السيوطي (ت: ٩١١) في

(1) انظر الإتقان (٢/٣٥٦، ٣٦٠).

(2) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(3) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(4) ممن اعتنى بالأحكام القصاب في كتابه (نكت القرآن) – وسيخرج قريباً إن شاء الله – وابن عطية في المحرر الوجيز، والشنقيطي في أضواء البيان.

كتابه الإكليل في استنباط التَّنـــزيل [1]، ثم تتابع العلماء على التأليف في هذا الفن وآخر ما وقفت عليه (أحكام القرآن) للعلاَّمة محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – أتى فيه بما لم يُسبق إليه من الفوائد، وفاجأه الأجل قبل أن يتمه.

أما الإمام ابن هشام فعلاقته بالفقه متينة؛ فهو كان يُقرئ الحاوي الصغير – في فقه الشافعية – أحسن قراءة، وحفظ مختصر الخرقي في فقه الحنابلة[2]، وتقلب بين ثلاثة مذاهب. ولم يتعمّد فيما ذكر من آيات الأحكام الاستنباط، ولكن صناعته التي برع فيها تقوده أحياناً إلى ذكر شيء مما قد خاض فيه العلماء، إلاَّ أنه بصير بما ينقل، وبنسبة الأقوال إلى أصحابها، ذاكراً أقوال الإمام الشافعي، وربما ذكر الأحناف، فإلى بعض الأمثلة، حيث يقول:

* عطف الاسمية على الفعلية وبالعكس. فيه ثلاثة أقوال: أحدها الجواز مطلقاً. والثاني المنع مطلقاً. والثالث يجوز في الواو فقط... وأضعف الثلاثة القول الثاني، وقد لهج به الرازي في تفسيره[3]، وذكر في كتابه في مناقب الشافعي[4] – رضي الله عنه – أن مجلساً جمعه وجماعة من الحنفية، وأنهم زعموا أن قول الشافعي (يحل أكل متروك التسمية) مردود بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[5] فقال: فقلت لهم: لا دليل فيها، بل هي حجة للشافعي؛ وذلك لأن الواو ليست للعطف؛ لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية، ولا

(1) انظر الإتقان (٢/٣٦٠)، وكشف الظنون (١/٢٠)، ومباحث في علوم القرآن، ص (٣٧٧) وأكثر هذه المؤلفات وصل إلينا، وهي معروفة للباحثين.

(2) انظر المقصد الأرشد (٢/٦٧).

(3) صرح في مناقب الشافعي، ص (٥٣٦) أنّه لا يجوز عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية إلاَّ لضرورة، كما في آية القذف.

(4) انظر منه (ص/٥٣٥– ٥٣٨).

(5) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

للاستئناف؛ لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها، فبقي أن تكون للحال؛ فتكون جملة الحال مقيدة للنهي، والمعنى لا تأكلوا منه في حالة كونه فسقاً، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً، والفسق قد فسَّره الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1] فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سمي عليه غير الله، ومفهومه كلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله. انتهى ملخصاً موضحاً. ولو أبطل العطف لتخالف الجملتين بالإنشاء والخبر لكان صواباً[2].

* مسألة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾[3] بماذا تتعلق اللام؟ وما معنى عودهم لما قالوا؟

الجواب: اختلف في متعلق اللام على قولين. أحدهما: أنَّه يعودون، وعلى هذا (ما) مصدرية، مثلها في قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[4] واختلف في ذلك المصدر على قولين. أحدهما: أن يؤول بالمفعول مثله في قولهم (درهم ضرب الأمير) و(ثوب نسج اليمن) فالتقدير: ثم يعودون للنساء المقول فيهن لفظ الظهار، وهذا قول جمهور العلماء[5]. والثاني: أنه غير مؤول، وهو قول أهل الظاهر فتجب عندهم الكفارة بتكرير العبارة[6].

والقول الثاني: من قولي متعلق اللام أنه التحرير، والتقدير: والذين يظاهرون ثم يعودون فعليهم تحرير رقبة؛ لأجل ما قالوه من الظهار، نُقل ذلك

(1) سورة الأنعام، الآية، ١٤٥.

(2) مغني اللبيب (٢/٤٨٥، ٤٨٦).

(3) سورة المجادلة، الآية: ٣.

(4) سورة ص، الآية: ٢٦.

(5) انظر أحكام القرآن للجصاص (٥/٣٠٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/١٧٥٢، ١٧٥٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٢٨٠، ٢٨١).

(6) انظر المحلى (١٠/٤٩- ٥٢).

عن الأخفش[١]. و(ما) على هذا القول إما مصدريَّة أو موصول اسمي، ويرد هذا القول أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها إلاَّ في باب (أمَّا) نحو ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾[٢] وأن المصدر لا يعمل فيما قبله، ولو كان ظرفاً، وأن التحرير للقول والعود، لا للقول فقط[٣].

❁ ❁ ❁

(1) نقله عنه مكي في مشكل إعراب القرآن (٧٢٢/٢) وليس نص كلامه في كتابه معاني القرآن (٧٠٥/٢، ٧٠٦) هكذا، ولكن يُفهم منه ذلك.

(2) سورة الضحى، الآية: ٩.

(3) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص (٢٠، ٢١).

المبحث التاسع: ابن هشام ينقل عن المفسرين، وينتصر لهم ويستدرك ويرجح

دأب المفسرون على النقل عمن تقدم؛ وذلك أن علم التفسير واسع، يحتاج من يؤلف فيه إلى الرواية، وعلوم العربية بأنواعها المختلفة، والفقه والأصول وغير ذلك.

وهناك مؤلفات في التفسير تكاد تكون أصولاً لأُخرى، منها الكشف والبيان للثعلبي، والمحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري. فالأول أصل لمعالم التَّنـــزيل للبغوي، وللباب التأويل للخازن، والثاني أصل للجامع لأحكام القرآن، ثم أصبح الجامع أصلاً لفتح القدير، ثم أصبح فتح القدير أصلاً لفتح البيان في مقاصد القرآن. والثالث أصل لكتب كثيرة، منها أنوار التَّنـــزيل وأسرار التأويل، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

والثاني والثالث أصلان للبحر المحيط، لكن أبا حيان نص على ذلك في مقدمة تفسيره.

وليس معنى هذا أن تلك المؤلفات مجرد نقل؛ فإن كل مفسر متأخر، جاء بما لم يأت به المتقدم، وله إضافات ومميزات ينفرد بها؛ وذلك أنهم جميعاً علماء لهم حظ من المنقول والمعقول.

أما استدراك المتأخر على المتقدم – من المفسرين – فهي ظاهرة واضحة، وهي دليل على أن مؤلفي التفسير، ليسو مجرد نقلة، جامدين على أقوال من سبقهم، لا يتدبرون كتاب الله، الذي أمر الله بتدبره بقولـــه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1].

(1) سورة ص، الآية: ٢٩.

وهذه الظاهرة الصحية الصحيحة نتيجة لسنة كونية حتمية، جعلها الله في أولي الألباب، فقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وأذكر مثالاً لتوضيح مسألة الاستدراك، فالإمام الطبري – رحمه الله – نقل عن أبي عبيدة، وعن الفراء، وعن الأخفش، وعن غيرهم، واستدرك عليهم أشياء، وجاء ابن عطية الأندلسي الغرناطي فنقل عن الطبري نقولات كثيرة، واستدرك عليه في أكثر من مائتي موضع، حظيت بدراسة أحد الباحثين، في رسالة دكتوراه. وجاء العلامة الفقيه الشهيد ابن جُزَيّ، فجعل من أصوله – في تأليف التسهيل– المحرر الوجيز، واستدرك على ابن عطية في مواضع، دُرست ونُشرت. وأما ابن هشام فنقل عن طائفة من المفسرين، والمعربين للقرآن، والموجهين لقراءاته.

أما أشهر المفسرين الذين نقل عنهم ابن هشام، فطائفة من مفسري الصحابة والتابعين، كعلي وابن عباس وقتادة، وغيرهم من المتقدمين[2]. ثم أشهر من نقل عنهم ابنُ هشام – ممن دوَّن تفسير هؤلاء – إمامان، هما ابن جرير الطبري والثعلبي[3].

وأوسع ابن هشام النقل عن جماعة من المفسرين، برعوا في صناعته، منهم مكي والزمخشري وابن عطية والعكبري وأبو حيان[4]. وغالب نقله عن هؤلاء في إعراب القرآن.

---

(1) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(2) انظر المبحث الثالث من هذا الفصل.

(3) انظر مغني اللبيب (٣٦٤/٢) (١٩٠/١).

(4) انظر المرجع السابق (٣٩٩/٢، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٨٣، ٤٩٣)، (١٧٧/١، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٩٦، ٣٠٦).

أما نقله عن الموجهين للقراءات، فنقل عن جماعة، على رأسهم أبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جني[1].

واستدرك على كل هؤلاء، وانتصف لبعضهم من بعض، وغالب استدراكاته عليهم، ومحاكماته بينهم، إنما هي في نحو القرآن.

ويمكن أن تنظر شيئاً من ذلك في الفصل الثالث، من هذا البحث، ومما يُذكر – هاهنا – قوله:

* وقد يمتنع كونها[2] للزجر نحو ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ. كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[3] إذْ ليس قبلها ما يصح رده.

وقول الطبري[4] وجماعة[5] إنه لما نزل في عدد خزنة جهنم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[6] قال بعضهم: اكفوني اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر، فنزل ﴿كَلَّا﴾ زجراً له، قول متعسف؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك[7].

* تنبيه:نيابة (أل) عن الضمير في نحو (حسن الوجه) من حيث هو الضمير، لا من حيث هو مضاف إليه، وربما توهم من كلامهم الثاني، وقد

(1) انظر المرجع السابق (١/٢٢٢).

(2) الضمير يعود على (كلاّ).

(3) سورة المدثر، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(4) في جامع البيان (٢٤/٢٨، ٢٩، ٣٢) نحو هذا، وليس نصه، نعم الطبري قال: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه المشركين في خزنة جهنم.

(5) انظر تفسير القرآن للسمرقندي (٣/٤٢٢، ٤٢٣)، والمحرر الوجيز (١٦/١٦١، ١٦٣)، والتفسير الكبير (٣٠/١٨٣).

(6) سورة المدثر، الآية: ٣٠.

(7) مغني اللبيب (١/١٩٠).

استحسن ذلك الزمخشري، حتى جوَّز نيابتها عن المضاف إليه المظهر، فقال في قولـــه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ﴾[١] إن الأصل أسماء المسميات[٢] ولا أعلم أحداً قال بهذا قبل، والمشهور في الآية الكريمة قولان.

أحدهما: أن الأصل مسميات الأسماء، ثم حذف المضاف، وعاد الضمير من ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ﴾[٣] كما عاد على المضاف المحذوف في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ ﴾[٤] الأصل: أو كذي ظلمات يغشاه.

الثاني: أن الأسماء أُريد بها المسميات، فلا حذف البتة[٥].

* ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٦] ومعناه – فيما قاله المفسرون – أفلم يعلم[٧]، وهي لغة النَّخَع وهوازن، قال سحيم[٨]:

أقول لهم بالشعب إذْ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زَهدم

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(2) انظر الكشاف (٦٢/١).

(3) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(4) سورة النور، الآية: ٤٠.

(5) شرح قصيدة كعب، ص (١٢٩، ١٣٠).

(6) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(7) انظر جامع البيان (٤٥٠/١٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٤٩/٣)، ومعاني القرآن الكريم (٤٩٧/٣)، والنكت والعيون (١١٣/٣)، وتفسير القرآن للسمعاني (٩٤/٣)، ومعالم التَّنزيل (٢٠/٣)، والوسيط (١٧/٣) وثبت عن ابن عباس تفسير الآية بهذا كما في جامع البيان، ونص البغوي على أنه قول أكثر المفسرين، وقال النحاس: وأكثر أهل اللغة على هذا القول. وقال السمعاني أكثر أهل المعاني على ذلك.

(8) البيت في مجاز القرآن (٣٣٢/١) وفي معاني القرآن وإعرابـــه (١٤٩/٣)، وفي لسان العرب (٤٣٢/١٥) (يأس)، وتأويل مشكل القرآن، ص (١٩٢).

أي: ألم تعلموا، ويؤيده قراءة ابن عباس (أفلم يتبين)[1] وعن الفراء إنكار كون ييأس بمعنى يعلم[2]، وهو ضعيف[3].

* وليس من تأكيد الاسم قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا. وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4] خلافاً لكثير من النحويين؛ لأنه جاء في التفسير أن معناه دكاً بعد دك، وأن الدك كُرِّرَ عليها حتى صارت هباء منبثاً[5]، وأن معنى ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أنه تَنْزِل ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف محدقين بالجن والإنس[6]، وعلى هذا فليس الثاني فيه تأكيداً للأول، بل المراد به التكرير، كما يقال: علمته الحساب باباً باباً[7].

* أورد المفسرون البيت على الصواب عندما تكلموا على تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[8] فقالوا: الساهرة وجه الأرض وأنشدوه[9].

(1) وهي قراءة شاذة. انظر مختصر في شواذ القرآن، ص (٦٧)، والمحتسب (٣٥٧/١) وقد ذكر ابن جني ومن قبله النحاس إنها مفسرة للقراءة المتواترة.

(2) انظر معاني القرآن (٦٤/٢).

(3) شرح قطر الندى، ص (٦٣، ٦٤).

(4) سورة الفجر، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(5) انظر معالم التَّنزيل (٤٨٥/٤)، وزاد المسير (١٢١/٩)، ولباب التأويل (٢٤٦/٤).

(6) انظر جامع البيان (٤١٧/٢٤)، وتفسير القرآن للسمعاني (٢٢٢/٦) وثبت هذا التفسير عن قتادة. انظر التفسير الصحيح (٦٣٠/٤).

(7) شرح قطر الندى، ص (٢٩٢).

(8) سورة النازعات، الآية: ١٤.

(9) تخليص الشواهد، ص (٤١١) والبيت هو:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم

وممن ذكر هذا المعنى وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٥/٢)، والفراء في معاني القرآن (٢٣٢/٣)، والماوردي في النكت (١٩٦/٦)، والطبري في جامع البيان (١٩٨/٢٤) مقتصراً على الشطر الأول.

* قال الطبري – في قوله تعالى –: ﴿ أُثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾[١] معناه أهنالك، وليست ثم التي تأتي للعطف، انتهى. وهذا وهم اشتبه عليه (ثُمَّ) المضمومة الثاء بالمفتوحتها[٢].

* وقد اجتمعت التعدية بالباء والتضعيف في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[٣] وزعم الزمخشري أن بين التعديتين فرقاً، فقال: لما نُزِّل القرآن منجماً، والكتابان جملة واحدة، جيء بنَزَّل في الأول وأنزل في الثاني[٤]... ويشكل على الزمخشري قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[٥] فقرن نزل بجملة واحدة، وقولـــه تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾[٦] وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾[٧] الآية، وهي آية واحدة[٨].

* قول الجماعة في قولـــه تعالى: ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[٩] إن فيه حذف مضافين، والمعنى: علمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤساؤهم. وهذا معنى حسن إلاَّ أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر

(1) سورة يونس، الآية: ٥١.
(2) مغني اللبيب (١/١١٩).
(3) سورة آل عمران، الآيتان: ٣، ٤.
(4) انظر الكشاف (١/١٧٤).
(5) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
(6) سورة النساء، الآية: ١٤٠.
(7) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.
(8) مغني اللبيب (٢/٥٢٤).
(9) سورة سبأ، الآية: ١٤.

الدليل عليهما، والأولى أنَّ (تبين) بمعنى وضح، وأنْ وصلتها بدل اشتمال من الجن، أي وضح للناس أن الجن لو كانوا إلخ[1].

(1) مغني اللبيب (٢/٥٥٤).

المبحث العاشر:

ابن هشام يرد الإعراب الذي يترتب عليه فساد المعنى

الإطلاع على إعراب الآية – إفراداً وتركيباً – أمر لا بد منه؛ لأن الإعراب يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين.

وقد جاء عن بعض الصحابة والتابعين ما يبين أن تعلم هذه الصناعة وإتقانها مطلوب؛ لفهم كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح(1)؛ ولهذا انتدب له طائفة من علماء الإسلام فألفوا فيه الكتب المطولة والمتوسطة والمختصرة، الفراء والأخفش والزجاج والنحاس ومكي والمنتجب الهمداني والعكبري والسمين والسفاقسي، غير من ذكره في تفسيره فأبدى فيه وأعاد، الزمخشري وابن عطية وأبو حيان.

وأما ابن هشام فمن فحول هذا الميدان، وقد خص بعض الآيات بمؤلفات لطيفة، إلاَّ أنها صغيرة جداً(2)، وأعظم منها فائدة ونفعاً ما بثه في كبرى مؤلفاته النحوية، فقد أتى بالعجب في ذلك، ولا أُبالغ إن قلت: إنها لا تمر صفحة من مؤلفاته النحوية دون إيراد آية، أو جملة منها، والاحتجاج بها على مسألة نحوية، وإعرابها إعراباً قد لا تجد طائفة كبيرة منه، عند من تقدم ذكرهم.

وحتى الآن لا أعلم أن طالباً – لا من التفسير ولا من النحو – قد انبرى لاستعراض مؤلفات ابن هشام واستخراج إعراب القرآن منها، وترتيبه على السور والآيات، والتعليق عليه بما يستحق، فيكون بذلك قد أخرج كتاباً ينتفع به المفسرون والنحويون، وأبرز جهود عالم له الفضل على الفريقين.

ولا أدل على أهمية هذه الناحية – في كتب ابن هشام – من أن السيوطي

---

(1) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد، ص (٣٤٩، ٣٥٠)، والإتقان (٤٨٨/١).

(2) منها أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ومسألة الحكمة في تذكير (قريب).

(وهو من علماء النحو) قد عول عليها في بعض أبحاثه في كتابه الإتقان في علوم القرآن[1]، مصرحاً بالنقل عن ابن هشام. وأغلب الظن أن الزركشي قد استفاد من ذلك في كتابه البرهان[2]، إلاَّ أنه لم يصرح بالنقل عن ابن هشام.

وما أذكره في الأمثلة التالية، ما هو إلاَّ على قاعدة واحدة، من قواعد عدة، نثرها ابن هشام في مؤلفاته.

أكتفي بإيراد مقدمة ابن هشام لهذه القاعدة، فإنه قال: الجهة الأولى[3]: أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة، ولا يراعي المعنى، وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك، وأوّل واجب على المعرب، أن يفهم معنى ما يعربه، مفرداً أو مركباً؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه[4]. ثم ذكر أمثلة كثيرة لهذه القاعدة المهمة، منها قوله:

* قال الله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾[5] أجمعت السبعة على رفعه، وقرئ شاذاً بالنصب[6]، وإنما يترجح الرفع في ذلك؛ لأنه الأصل، ولا مرجح لغيره. وليس منه قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[7]؛ لأن تقدير تسليط الفعل على ما قبله إنما يكون على حسب المعنى المراد، وليس المعنى هنا أنهم فعلوا كل شيء في الزبر، حتى يصح تسليطه على ما قبله، وإنما المعنى وكل

(1) انظر منه (١/٤٨٩، ٤٩١).

(2) انظر منه (١/٣٠٢) تجد كلام ابن هشام وأمثلته.

(3) من الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها.

(4) مغني اللبيب (٢/٥٢٧، ٥٢٨).

(5) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

(6) لم يُذكر خلاف بين السبعة – بل العشرة – في رفع (جنات) و لم أقف على القراءة الشاذة عند ابن خالويه ولا ابن جني.

(7) سورة القمر، الآية: ٥٢.

مفعول لهم ثابت في الزبر، وهو مخالف لذلك المعنى، فالرفع هنا واجب، لا راجح، والفعل المتأخر صفة للاسم، فلا يصح لـــه أن يعمل فيه[١].

* قولـــه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٢] فـــ(من استطاع) بدل من الناس، هذا هو المشهور. وقيل: فاعل بالحج، أي: ولله على الناس أن يحج مستطيعهم. وقال الكسائي: إنها شرطية مبتدأ، والجواب محذوف، أي: من استطاع فليحج، ولا حاجة لدعوى الحذف مع إمكان تمام الكلام.

والوجه الثاني يقتضي أنه يجب على جميع الناس أن مستطيعهم يحج، وذلك باطل باتفاق، فيتعين القول الأول[٣].

* قولـــه تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[٤] فإن المتبادر تعلق (من) بخفت، وهو فاسد في المعنى، والصواب تعلقه بالموالي، لما فيه من معنى الولاية، أي خفت ولايتهم من بعدي وسوء خلافتهم، أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليهم، أي كائنين من ورائي، أو فِعْلَ الموالي من ورائي[٥].

* قولـــه تعـــالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ﴾[٦] فإن المتبادر تعلق (إلى) بـــ(تكتبوه) وهو فاسد؛ لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدين، وإنما هو حال، أي مستقراً في الذمّة إلى أجله.

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[٧] فإن المتبادر انتصاب ﴿مِائَةَ﴾

(1) شرح قطر الندى، ص (١٩٦، ١٩٧).

(2) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(3) شرح قطر الندى، ص (٣٠٩).

(4) سورة مريم، الآية: ٥.

(5) مغني اللبيب (٢/٥٣٠).

(6) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(7) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

بأماته، وذلك ممتنع مع بقائه على معناه الوضعي؛ لأن الإماتة سلب الحياة، وهي لا تمتد، والصواب أن يُضَمَّن أماته معنى ألبثه، فكأنه قيل: فألبثه الله بالموت مئة عام، وحينئذ يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين، أي معنى اللبث لا معنى الإلباث؛ لأنه كالإماتة في عدم الامتداد، فلو صح ذلك لعلقناه بما فيه من معناه الوضعي، ويصير هذا التعلق بمنـــزلته في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[1].

❁ ❁ ❁

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩، وإعراب ابن هشام في مغني اللبيب (٢/٥٣٠).

المبحث الحادي عشر: ابن هشام يذكر بلاغة القرآن

العرب قوم بلغوا في الفصاحة والبلاغة أعلى الدرجات، فلهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأســـجاع والمزدوج واللفظ المنثور[1]، وأسواقهم الأدبية التي يجتمعون فيها لسماع هذه الأشياء، والحِكَم لمن يُحْكِمُها مشهورة معروفة، حتى إذا نزل القرآن أخرصهم عن آخرهم، فلم يستطيعوا أن يحاكوه في أقصر سورة من سوره، وقد كانوا أحرص ما يكونون، على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لفعلوا ذلك، قطعاً للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك، ولا رامه، بل عدلوا تارة إلى العناد، وأُخرى إلى الاستهزاء، فقالوا: سحر، وقالوا: شعر، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[2]، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم نقلهم اليأس عن معارضته إلى تحكيم السيف في أعناقهم، وسبي ذراريهم وحرمهم، واستباحة أموالهم[3]، فثبت عجز القوم الألداء بلا مراء.

ولست بصدد عد أنواع الإعجاز في القرآن، فإن من المعلوم أن إعجازه لم ينحصر في لفظه وتركيبه، وتقديمه وتأخيره، الذي سجد له الكفرة الفجرة.

بل الحديث عن إعجاز القرآن ضرب من الإعجاز[4]؛ لأن إعجازه لا يظهر منه لعلماء زمان جانب، إلاَّ ووراءه جوانب أُخرى، يظهر بعضها لمن

---

(1) انظر الإتقان (٢/٣٢٧).

(2) سورة الفرقان، الآية: ٥.

(3) انظر الإتقان (٢/٣٢٦).

(4) انظر مباحث في علوم القرآن، ص (٢٥٨).

بعدهم، بحسب العلوم التي نبغوا فيها، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الله القائل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، والقائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2].

وصدق الرسول الأمي، الذي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، إذ يقول: «ما من الأنبياء نبي إلاَّ أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[3].

وبعد: فالعلاَّمة ابن هشام – رحمه الله – تحدث عن بعض الجوانب من بلاغة القرآن اللفظية، وما رأيته – وليس كل شيء رأيته – لا يعدو أن يكون نتفاً يسيرة، ولعل بعضها استفاده من الزمخشري وغيره، وهو في ذلك معذور؛ لأنه ليس كل من أجاد صناعة النحو يجيد صناعة البلاغة، ثم ليس الكتب التي ألفها ابن هشام، المقام فيها مقام بلاغة؛ ولهذا – والله أعلم – فإنه عندما شرح قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – أولى ناحية البلاغة شيئاً من العناية؛ لأن المقام يناسب، ومن الأمثلة على هذا المبحث قول ابن هشام:

* وإنما يحسن إعادة الظاهر في الجملة الواحدة في مقام التعظيم نحو ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[4] والتهويل نحو ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾[5].

---

(1) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٠، ٥١.

(2) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٩) برقم (٤٩٨١).

(4) سورة الواقعة، الآية: ٢٧.

(5) سورة الحاقة، الآيتان: ١، ٢، وتفسير ابن هشام في شرح قصيدة كعب، ص (٦١).

*﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[١] وإنما ذكر الليل مع اختصاص الإسراء به؛ ليشار بتنكيره الدالّ على التقليل والتبعيض إلى أنّه قطع به – عليه الصلاة والسلام – مسافة أربعين ليلة في بعض ليلة، ويؤيده قراءة ابن مسعود وحذيفة – رضي الله عنهما – (من الليل)[٢].

* قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[٣] فإن (تركبوها) بتقدير لأن تركبوها، وهو علّة لخلق الخيل والبغال والحمير، وجيء به مقروناً باللام لاختلاف الفاعل؛ لأن فاعل الخلق هو الله سبحانه وتعالى، وفاعل الركوب بنو آدم، وجيء بقوله جل ثناؤه: ﴿وَزِينَةً﴾ منصوباً؛ لأن فاعل الخلق والتزيين هو الله تعالى[٤].

* وقد اجتمعتا[٥] في قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[٦] ولو جيء بعند فيهما أوبلدن لصح، ولكن ترك دفعاً للتكرار، وإنما حسن تكرار (لدى) في ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾[٧] لتباعد ما بينهما، ولا تصلح (لدن) هنا؛ لأنه ليس محل ابتداء[٨].

---

(1) سورة الإسراء، الآية: ١.

(2) شرح قصيدة كعب، ص (١١٢)، والقراءة شاذة، وقد ذكرها الزمخشري في الكشاف (٢/٣٥٠) وكذلك هو السابق إلى هذه النكتة البلاغية.

(3) سورة النحل، الآية: ٨.

(4) شرح قطر الندى، ص (٢٢٩).

(5) (عند) و(لدن).

(6) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(7) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(8) مغني اللبيب (١/١٥٦).

المبحث الثاني عشر: ابن هشام يحتج بالشعر العربي على ما يذكره من معانٍ وتفسير

القرآن عربي، ومن أُرسل به عربي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2]، وقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[3] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[4].

إذاً ألفاظ القرآن عربية، ووجوه المعاني فيه توافق وجوه المعاني عند العرب[5]، وأعظم هذه المعاني ذيوعاً وانتشاراً ما كان في أشعارهم، وكلما كان المفسر حافظاً هذه الأشعار، عالماً بمعانيها، كلَّما كان فتاحاً لهذا الكتاب العظيم، وسؤالات نافع بن الأزرق – التعجيزية – لحبر الأمة ابن عباس – رضي الله عنهما – مشهورة، وجواب ابن عباس عنها، واحتجاجه على ما قال بالشعر العربي مشهور أيضاً[6].

قال أبو بكر ابن الأنباري: «قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً

---

(1) سورة يوسف، الآية: ٢.

(2) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(3) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(4) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(5) انظر مباحث في علوم القرآن، ص (٣٣٣).

(6) انظرها في كتاب الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري، ص (١/٧٦- ٩٩)، وفي الإتقان للسيوطي (١/٣٢٦- ٣٥٧) وقد قال بعض العلماء إنها لا تثبت عن ابن عباس، ورأيت بعضها عند الطبراني من طريق جويبر الكذاب.

الاحتجاجُ على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن... وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[1] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2] وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»[3].

وأما ابن هشام فمن أهل العربية، الذين يكثرون من الشواهد الشعرية على قواعد النحو، واحتجاجه بالشعر على معاني القرآن وتفسيره موجود في مؤلفاته، لكن لا أستطيع القول: إنه في الكثرة مثل النوع الأول، بل ولا قريب منه، والسبب في ذلك أن مؤلفاته هي في النحو، لا في التفسير ومعاني القرآن، فما جاء من هذا أعطاه بقدره، والله يقول: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾[4].

ومن الملاحظ على ابن هشام أنه يعوّل في الاحتجاج على معاني القرآن بالشعر الجاهلي، لا بشعر المولدين، ولا حتى بشعر شعراء صدر الإسلام.

ومن الملاحظ أيضاً اعتماده على ما ذكره أصحاب المعاني والمفسرون المعروفون بعنايتهم بهذا الشأن، ومما ذكر في هذا المبحث:

* ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[5] ومعناه... أفلم يعلم وهي لغة النخع

(1) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(2) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(3) انظر كتاب الوقف والابتداء (١/٦١، ٩٩، ١٠٠، ١٠١) ونقله السيوطي في الإتقان (١/٣٢٦).

(4) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

(5) سورة الرعد، الآية: ٣١.

وهوازن، قال سحيم:

أقول لهم بالشعب إذْ يأسرونني ألم تعلموا أني ابن فارس زَهدم

أي ألم تعلموا[١].

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم

... أورد المفسرون البيت... عندما تكلموا على تفسير قولـــه تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[٢] فقالوا: الساهرة وجه الأرض، وأنشدوه، والمعنى: وفيها لحم بر وبحر[٣].

* قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[٤] أي ليس فيها ما يغتال عقولهم، فيذهب بها، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول[٥]

❋ ❋ ❋

(1) شرح قطر الندى، ص (٦٢، ٦٤) وتقدم تخريج البيت في المبحث التاسع من هذا الفصل.

(2) سورة النازعات، الآية: ١٤.

(3) تخليص الشواهد، ص (٤١١) وتقدم تخريج البيت في المبحث التاسع من هذا الفصل، وذُكر هنالك في الحاشية.

(4) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(5) شرح قصيدة كعب، ص (١٤٥، ١٤٦) ويأتي تخريج البيت في المبحث الثالث عشر من هذا الفصل.

المبحث الثالث عشر: ابن هشام يعتني بتفسير غريب القرآن

معرفة تفسير غريب القرآن أُس من أُسس التفسير، لا يحل لأحد الإقدام على تفسير كلام الله، بغير معرفة ذلك.

قال الزركشي: قال يحيى بن نضلة المديني سمعت مالك بن أنس يقول: لا أُوتى برجل يفسر كتاب الله، غير عالم بلغة العرب، إلاَّ جعلته نكالاً. وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[1].

وقال السيوطي: وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة[2]. ثم ساق ما ثبت عن ابن عباس، من طريق علي بن أبي طلحة مرتباً على سور القرآن، في إحدى عشرة صفحة[3].

ويعتمد في هذا الباب ما ثبت في مصنفات الحديث والآثار، عن الرسول ﷺ والصحابة الأطهار، والتابعين الأخيار.

ثم ينظر في الكتب المصنفة في غريب القرآن، وهي كثيرة، ومن أشهرها مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن وتفسيره لليزيدي، وتفسير غريب القرآن لابن عزيز السجستاني، وياقوتة الصراط لغلام ثعلب[4]، والمفردات للراغب.

(1) البرهان (١/٢٩٢).

(2) الإتقان (١/٣١٤، ٣١٥).

(3) انظر المرجع السابق (١/٣١٥- ٣٢٥).

(4) حققه الأستاذ الدكتور محمد بن يعقوب التركستاني، ونشرته مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ١٤٢٣هـ.

ولا ينسى كتب التفسير، المشهور أصحابها بالتحقيق في هذا الباب، كمعاني القرآن للفراء والزجاج والنحاس، وجامع البيان والمحرر والكشاف والبحر.

وعليه أن يقارن بين الأقوال عند الاختلاف، فيأخذ بما دل عليه الدليل، وبما ثبت عن النقلة الثقات، وما عليه الأكثر، وما لم يظهر له معناه يتوقف فيه، وقدوته في ذلك أبو بكر وعمر وابن عباس.

والعلامة ابن هشام أستاذ محقق في هذا الباب، ولو قصده بتأليف لأُوسع لـــه المكان، بين كتب هذا الشأن، ولبلغ رتبة الزمخشري وأبي حيان وقد جاء في ذلك بنتف يسيرة، نثرها في مؤلفاته النحوية، وأكثر ما تجد عنده هو في كتابه (شرح قصيدة كعب بن زهير).

ومما يلحظ أن ابن هشام لا يذكر في غريب القرآن إلاَّ قول واضح البيان، ويرد البعيد من الأقوال، ولو كان لتابع الأصحاب، ومما قال في هذا المبحث:

* والغَول بالفتح ما يغتال الشيء ويذهب به، ومنه قولهم الغضب غول الحلم، والحرب غول النفوس، وقوله تعالى: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾[1] أي ليس فيها ما يغتال عقولهم، فيذهب بها، قاله أبو عبيدة[2]، وأنشد[3]:

وما زالت الكأسُ تغتالُنا وتذهبُ بالأول الأولِ

وقال الجوهري[4]: المعنى أنه ليس فيها غائلة الصداع، واستدل بقوله تعالى:

---

(1) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(2) انظر مجاز القرآن (١٦٩/٢).

(3) البيت في مجاز القرآن (١٦٩/٢)، وفي جامـــع البيان (٣٧/٢١)، ولســـان العرب (١٤٨/١٠)، والصحاح (١٤٥٥/٤) (غول).

(4) انظر الصحاح (١٤٥٤/٤، ١٤٥٥) (غول) ولم يذكر الجوهري إلاَّ آية الواقعة، حسب =

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾[2].

وقال البخاري في صحيحه [3] – في تفسير الآية –: الغول وجع البطن، انتهى، وهو غريب[4].

* وضاحية: ما ضحيَ منه للشمس، أي برز وظهر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[5] أي لا تبرز للشمس[6].

❁ ❁ ❁

= النسخة التي رأيتها من الصحاح.

(1) سورة الواقعة، الآية: ١٩.

(2) سورة الصافات، الآية: ٤٧.

(3) انظر صحيح البخاري – مع الفتح – (٥٤٢/٨).

(4) شرح قصيدة كعب، ص (١٤٥، ١٤٦).

(5) سورة طه، الآية: ١١٩.

(6) شرح قصيدة كعب، ص (٢٤٤).

المبحث الرابع عشر:

ابن هشام يرد على بعض المخالفين لأهل السنة في العقيدة

عناية المفسر بتوضيح الآيات التي تتحدث عن العقيدة على منهج سلف الأمة مطلوب مهم، ومن شروط المفسر صحة الاعتقاد؛ لأنه لا يؤمن إن كان ملحداً في آيات الله أن يبتغي الفتنة، ويغر الناس بليه وخداعه، كالباطنية والرافضة، وإن كان من أصحاب البدع والأهواء، لم يؤمن أن يحمله هواه وبدعته على لي أعناق النصوص، لتوافق هواه وبدعته، كالقدرية والمعتزلة والخوارج والصوفية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير، ومقصوده إيقاع من يقرؤه أو يسمعه في حبال بدعته، ويصده عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى[1].

ومفسرو القرآن على المنهج السوي كثير في المتقدمين؛ لأن الصحابة وكثير من التابعين وأتباعهم أشد الناس بعداً عن مخالفة الحق – ظاهر الكتاب والسنة – ومن المتأخرين ابن جرير والقصاب[2] والسمعاني والبغوي وابن كثير، ومن المعاصرين القاسمي والسعدي والشنقيطي.

وأما ابن هشام فعنده هذا الاتجاه السوي، فهو في أثناء إعرابه للقرآن، وتفسير بعض آياته يحمل الآيات على الوجه الصحيح، وينبه على بعض التفاسير الخاطئة، ويبيّن الخلل لمن فسرها بذلك، ويرد في إعرابه للقرآن على الزنادقة الذين يضللون الناس عن طريق ذكر بعض أوجه الإعراب الضعيفة، التي تؤدي إلى الطعن في الصحابة[3].

---

(1) انظر مقدمة في أصول التفسير، ص (٨٦، ٨٧، ٨٨)، والإتقان (٢/٤٩٧، ٤٩٨)، ومباحث في علوم القرآن، ص (٣٢٩، ٣٣٠).

(2) في كتابه (نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام).

(3) انظر مغني اللبيب (١/٣١٩).

ومع هذه الحسنات وقع من ابن هشام بعض الهنات، التي لا يكاد يسلم منها نحوي، أو لغوي، وهو التأويل لصفة المجيء، ومما قال في ذاك وهذا قوله:

* مسألة: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1] قيل: هذا يقتضي أن الله تعالى يخلق الخير والعبد يخلق الشر ؟ فأجيب: بأن المعنى – والله أعلم – ما أصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله فضلاً منه عليك، وما أصابك من أمر يسؤك فمن نفسك، أي فمن ذنب أذنبته، فعوقبت عليه، وليس المراد خلق الخير، ولا خلق الشر[2].

* وقول الفارسي في ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[3] إنه من باب (زيداً ضربته). واعترضه ابن الشجري[4] بأن المنصوب في هذا الباب شرطه أن يكون مختصاً ليصح رفعه بالابتداء، والمشهور أنه عطف على ما قبله، وابتدعوها صفة، ولا بد من تقدير مضاف، أي وحب رهبانية وإنما لم يحمل أبو علي الآية على ذلك لاعتزاله، فقال: لأن ما يبتدعونه لا يخلقه الله عز وجل[5].

* حذف الاسم المضاف ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[6] ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ﴾[7] أي أمره لاستحالة الحقيقي[8].

---

(1) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(2) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ص (٣٣).

(3) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(4) لم أقف على هذه الآية في الأمالي.

(5) مغني اللبيب (٥٧٧/٢) وهو باطل؛ إذْ لازمه وجود خالق آخر مع الله، تعالى الله عن ذلك.

(6) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(7) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(8) مغني اللبيب (٦٢٣/٢) وقول ابن هشام إن قُبِل في الآية الثانية، لم يقبل في الآية الأولى، بل المجيء فيها حقيقي، ويُحمل على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا نؤوله ولا نكيفه، دل =

المبحث الخامس عشر: ابن هشام يذكر بعض علوم القرآن

علوم القرآن كثيرة جداً، ألف فيها العلماء إفراداً وإجمالاً، وأحسن ما جُمع فيها كتابان. أحدهما: (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، ذكر فيه مؤلفه سبعة وأربعين نوعاً، من أنواع علوم القرآن، ثم قال: «واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع، إلاَّ ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره»[(١)]. والثاني: (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، ذكر فيه مؤلفه ثمانين نوعاً، من أنواع علوم القرآن، ثم قال: «فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمئة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة، وقفت على كثير منها»[(٢)].

قلت: ولا يخفى عليك أن مقدمات التفاسير لعلماء التأويل حوت أبحاثاً جميلة، من أنواع علوم القرآن، ولو ندب جماعة من الباحثين أنفسهم لقراءتها، وما يمكن من كتب اللغويين والنحاة والبلاغيين، المعروفين – في أبحاثهم – بالاعتماد على القرآن[(٣)]، بالإضافة إلى ما ثبت أن القرآن أشار إليه من حقائق علمية في العلم الحديث، ثم صُنِّف ذلك تصنيفاً علمياً – مع ملاحظة

= على ذلك الكتاب والسنة وقاله سلف الأمة. انظر هذه المسألة في كتاب الرد على الجهمية للدارمي، ص (٤٢)، وكتاب الحجة في بيان المحجة (١٢٤/٢، ٤٦٨)، وشرح حديث النُّزول، ص (١٨٨)، ومختصر الصواعق المرسلة (٤٠٥/٢).

(1) البرهان (١٢/١).

(2) الإتقان (٢١/١).

(3) مثل الصاحبي لابن فارس فقد ذكر فيه مؤلفه أبحاثاً من علوم القرآن، ليست في البرهان، ولا في الإتقان، ولم أرها عند غيره من المفسرين.

عدم تكرار شيء مما في البرهان والإتقان، إلاَّ ببرهان – لخرج لنا موسوعة في علوم القرآن، تجد مكانها في مكتبة التفسير وعلوم القرآن(١).

وقد ذكر أبو محمد ابن هشام بعضاً من أنواع علوم القرآن، لم يقصد إليه قصداً، ولكن جاء عرضاً، فرمز إليه رمزاً، إلاَّ ما كان مختلفاً في وقوعه في القرآن – أعني القلب – فإنه أدلى فيه بشيء من التفصيل، وكأنَّه يرى أنَّه لا مانع من القول بوقوعه في القرآن(٢).

وقد قلت في كتاب لي آخر: الظاهر أن القلب لا يُقال به في كتاب الله؛ لأنه جاء في لغة العرب ضرورة – كما قال أبو حيان – ولأن القائلين بوقوع القلب يجيزونه في بعض الصور والأنواع دون بعض، وفي هذا دليل على ضعف القول بوقوعه في القرآن(٣).

وإليك ما وقفت عليه عند ابن هشام في هذا المبحث، فهو يقول:

[١– نزول القرآن](٤)

*** وإنما قال(٥) هو في خطبة الكشاف: (الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً(٦)، ونزَّله بحسب المصالح منجماً)؛ لأنه أراد بالأول أنزله من**

(1) ذكر أحد الأساتذة أن هذه المسألة دُرست في جامعة الإمام بعنوان (علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير. وفي نظري أن ما دعوت إليه، لايزال له متسع، بالضوابط التي ذكرت.

(2) وللتأكد من اتجاه ابن هشام في هذا انظر كلامه في مغني اللبيب (٢/٦٩٥).

(3) انظر هذه المسألة في تأويل مشكل القرآن، ص (١٩٨، ٢٠٠)، والصاحبي، ص (٣٢٩)، والمحرر الوجيز (٢/١٥٤)، والبحر المحيط (٢/١٤٧)، والبرهان (٣/٢٨٨).

(4) ما بين المعكوفين – في كل هذه النماذج – من عندي.

(5) يعني الزمخشري.

(6) ولو قال: (الحمد لله الذي أنزل كلامه مؤلفاً منظماً) لخلع ثوب الاعتزال، ولنجى من =

اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وهو الإنزال المذكور في ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]، وفي قولـــه تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[٢]، وأما قول القفال: إن المعنى الذي أنزل في وجوب صومه، أو الذي أنزل في شأنه[٣]. فتكلف لا داعي إليه. وبالثاني تنـــزيله من السماء الدنيا إلى رسول الله ﷺ نجوماً، في ثلاث وعشرين سنة[٤].

[٢- القلب]

*** من فنون كلامهم القلب، وأكثر وقوعه في الشعر[٥].**

وقد اختلف في القلب فريقان: النحويون والبيانيون. أما النحويون فمنهم من خصه للضرورة، وزعم أنه غني عن التأويل، وهذا فاسد؛ إذْ ما من ضرورة إلا ولها وجه يحاوله المضطر، نص على ذلك سيبويه. ومنهم من خصه بالضرورة وشرط التأويل، ومنهم من أجازه في الكلام واحتج بقولـــه تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[٦] والمفاتح لا تنهض بالعصبة متثاقلة، بل العصبة هي التي

= وعيد من قال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ سورة المدثر، الآية: ٢٥.

(1) سورة القدر، الآية: ١.

(2) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(3) القولان مذكوران في بعض كتب التفسير، دون نسبة إلى القفال. انظر النكت (٢٤٠/١)، وغرائب التفسير (١٩٨/١)، والكشاف (١١٤/١)، وزاد المسير (١٨٧/١)، والتفسير الكبير (٧٣/٥)، وروح المعاني (٦١/٢) وجمهور المفسرين على خلاف هذين القولين، وقد ثبت عن ابن عباس ما شرح به ابن هشام كلام الزمخشري. انظر التفسير الكبير (٧٢/٥)، والتفسير الصحيح (٢٨٨/١).

(4) مغني اللبيب (٥٢٤/٢).

(5) مغني اللبيب (٦٩٥/٢) وذكر للقلب في هذا الكتاب أكثر من مثال من القرآن الكريم.

(6) سورة القصص، الآية: ٧٦.

تنهض بها متثاقلة...

وأما البيانيون: فاختلفوا في كونه مقبولاً في الكلام الفصيح، فقبله قوم مطلقاً، ورده قوم مطلقاً، وفصَّل بعضهم، فقال: إن تضمن اعتباراً لطيفاً قُبل، وإلاَّ فلا[1].

[٣- المناسبة بين بعض السور]

* قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[2] وتعلقها بـــ(فليعبدوا) وقيل: بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، ورُجّح بأنهما في مصحف أُبي سورة واحدة. وضُعّف بأن جعلهم كعصف إنما كان لكفرهم وجرأتهم على البيت. وقيل: متعلقة بمحذوف تقديره اعجبوا[3].

[٤- الوقف]

* الثاني[4]: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[5] بعد قولـــه تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾[6] فإنه ربما يتبادر إلى الذهن أنه محكي بالقول، وليس كذلك؛ لأن ذلك ليس مقولاً لهم.

الثالث: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[7] بعد قولـــه تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾[8] وهي كالتي قبلها. وفي جمال القراء للسخاوي أن الوقف على (قولهم) في الآيتين

(1) شرح قصيدة كعب، ص (٢٤١).

(2) سورة قريش، الآية: ١.

(3) مغني اللبيب (١/٢٠٩).

(4) من الأمثلة للاستئناف الذي قد يخفى.

(5) سورة يس، الآية: ٧٦.

(6) سورة يس، الآية: ٧٦.

(7) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(8) سورة يونس، الآية: ٦٥.

واجب[1]. والصواب أنه ليس في جميع القرآن وقف واجب[2].

وفي نهاية هذا الفصل أُنبه القارئ الكريم، إلى ثلاثة أشياء:

الأول: لم يرد في هذا الفصل أهم مبحثين عرضهما ابن هشام في مؤلفاته، وأبدى فيهما وأعاد، وأبدع فيهما وأجاد، وهما مبحثا إعراب القرآن وتوجيه قراءاته؛ وذلك أنني قد خصصت الفصل الثالث لهما، فجردتهما من أعظم كتب ابن هشام عناية بهما، ورتبت ما هنالك على سور القرآن وآياته، مع التفسير أيضاً.

الثاني: أن ما ساقه العلامة ابن هشام في مؤلفاته – من هذه المباحث – يختلف قلة وكثرة، فبعض المباحث تستطيع أن تقف لها على أمثلة كثيرة جداً، وبعضها أقل – مع أنه كثير – مع ملاحظة أن عدد الأمثلة المعروضة في كل مبحث ليست – بالضرورة – منبئة عن ذلك؛ لأنني قد أذكر مثالين، أو ثلاثة، مع أن في كتب ابن هشام أكثر، نعم في بعض المباحث لم أجد الأمثلة الكثيرة، وهذا فيما اطلعت عليه من كتبه.

الثالث: أن هناك مباحث قد لا تقل أهمية عما ذُكر، يقف عليها من يتتبع التفسير في كتب العلامة ابن هشام، ومع ذلك لم أذكرها خوفاً من أن يطول البحث؛ ولأني لم أقصد في هذا البحث الحصر والإحاطة، ولكن التنبيه والإشارة.

ومن المباحث التي لم أذكرها:

أنه يحتج على المعنى المراد بقراءة أُخرى، متواترة أو شاذة[3].

---

(1) انظر جمال القراء (٥٧١/٢).

(2) مغني اللبيب (٣٨٤/٢) وما قاله ابن هشام صحيح، ويؤيده أن أحداً من علماء الوقف والابتداء قبل السخاوي لم يذكر في أنواع الوقف الوجوب، إذاً فالسخاوي يريد الوقف اللازم، وممن ذكر هذا النوع السجاوندي في علل الوقوف (١٠٨/١– ١١٦) وما أظن ابن هشام ينكر مثل هذا.

(3) انظر شرح قصيدة كعب، ص (٢١٨)، وشرح قطر الندى، ص (٦٣، ٦٤).

ومنها: أنه نقض أقوالاً قد أُخذت مسلمة[1]، وذكر أُخرى لم يسبق إليها فيما أعلم[2].

ومنها: أنه يذكر الوجوه والنظائر، فيذكر (اليوم) و(عند) و(الوعد والوعيد) و(الزعم) و (السبيل) – مثلاً – ومعانيها المختلفة[3].

ومنها: تنظير الآية بمثلها – عندما يكون المعنى فيهما واحداً – كما في منهج ابن كثير في تفسيره[4].

ومنها: أنه يجعل القراءة حجة على أهل العربية[5].

ومنها: أنه يفسر بعض الظواهر الكونية تفسيراً علمياً[6].

ومنها: أنه لا يعدل عن الاستشهاد بالقرآن إذا وجد الشاهد فيه[7].

ومنها: أنه يجمع بين نصوص الوحيين إذا ظهر بينهما التعارض[8].

ومنها: أنه شديد الحذر والتوقي عند تفسير القرآن[9].

ومنها: أنه يؤيد الوجه الذي فيه تبرئة لساحة الصحابة، ورد على الزنادقة[10].

---

(1) انظر مغني اللبيب (٥٢٤/٢).

(2) انظر شرح قصيدة كعب، ص (١١٩، ١٢٠).

(3) انظر شرح قصيدة كعب، ص (٥٢، ٥٣، ٥٧، ١٤٧، ١٥٤).

(4) انظر مغني اللبيب (٣٢٣/١)، (٣٩١/٢).

(5) انظر تخليص الشواهد، ص (١٠٧).

(6) انظر شرح قصيدة كعب، ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(7) انظر المرجع السابق، ص (١٢٣).

(8) انظر المرجع السابق، ص (١٦٠).

(9) انظر شرح قطر الندى، ص (١٤٧).

(10) انظر مغني اللبيب (٣١٩/١)، وقد أشرت إليه في المبحث الرابع عشر، ولم أذكر له مثالاً.

فهرس المحتويات

المقدّمة ٢٥٣
الفصل الأول: تعريف موجز بابن هشام وببعض مؤلفاته التي أودع فيها نصوصاً لتفسير القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته ٢٥٨
المبحث الأول: تعريف موجز بابن هشام ٢٥٨
المبحث الثاني: تعريف موجز ببعض مؤلفات ابن هشام ٢٦٢
الفصل الثاني: بعض المباحث التفسيرية ٢٧٧
المبحث الأول: تفسير ابن هشام القرآن بالقرآن ٢٧٧
المبحث الثاني: تفسير ابن هشام القرآن بالسنة ٢٨٠
المبحث الثالث: تفسير ابن هشام القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ٢٨٢
المبحث الرابع: ابن هشام يذكر أسباب النُّزول ٢٨٧
المبحث الخامس: يجعل ابن هشام قول السلف حجة على الخلف ٢٩٠
المبحث السادس: ابن هشام ينظر إلى السياق عند تفسير القرآن ٢٩٣
المبحث السابع: ابن هشام يُفَسِّر مُشْكِلَ القرآن ٢٩٥
المبحث الثامن: ابن هشام يذكر أحكام القرآن ٢٩٨
المبحث التاسع: ابن هشام ينقل عن المفسرين ٣٠٢
المبحث العاشر: ابن هشام يرد الإعراب الذي يترتب عليه فساد المعنى ... ٣٠٩
المبحث الحادي عشر: ابن هشام يذكر بلاغة القرآن ٣١٣
المبحث الثاني عشر: ابن هشام يحتج بالشعر العربي ٣١٧
المبحث الثالث عشر: ابن هشام يعتني بتفسير غريب القرآن ٣٢٠
المبحث الرابع عشر: ابن هشام يرد على بعض المخالفين لأهل السنة ٣٢٣
المبحث الخامس عشر: ابن هشام يذكر بعض علوم القرآن ٣٢٥

فهرس الموضوعات ٣٩١